موتاً هنيئا رواية

محمد محي الدين أبوزكو

موتاً هنيئا رواية
محمد محي الدين أبوزكو

الإهداء

إلى :

- بائعـــات الشـــاي، وبـــائعي الميـــاه في عربات (الكارو)
- بائعات الطعـام في الأسـواق، وبائعـات الهوى.
- أبناء الزنا، وأبناء الشوارع.
- بائعـــات الخمـــور البلديـــة، ومروجـــو المخدرات.
- مدمني الخمر، ومدمني الحشيش.
- السارقين والسارقات.
- إلى صـــديقي الـــذي، منحـــني نصـــف سيجارة ونصحني بشربها.
- إلى كل الفقراء مثلي، الشحاذين وكـل من يصحو مع العصافير

  ليسابق الشمس نحو رزقه.
- وأخـــيرا، إلى ســـيدة القلب، تلـــك الغامضة (ملاكي الحارس).

مقدمة

إن أحداث هذه الرواية وقعت في المستقبل البعيد بجمهورية السودان، أي أنها احداث خيالية بحتة، ولربما تكون إستباقية تنبئية بناء على إعتبار ما سيكون، حسبما أرى من دلائل وتطورات دخيلة على ثقافتنا السودانية ومطالبات بمزيد من الحرية والتحرر.

محمد محي الدين أبوزكو

موتاً هنيئا   رواية
محمد محي الدين أبوزكو

تنويه

جميع الأحداث والشخصيات في هذه الرواية شخصيات خيالية، ولا تمت للواقع بصلة، وأي تشابه بينها وبين الواقع هو محض صدفة، بإستثناء الشخصيات العامة المذكورة وهما الفنانتين (هدى عربي – ندى القلعة) وحسب قانون جمهورية السودان، إن ذكر أو تناول أو التحدث عن الشخصيات العامة أو وصفها لا يحتاج لأي إذن منهم. وبالتالي لست مسؤولا عن أي تفسير خاطئ لما ذكرته عنهم.

موتاً هنيئا   رواية

محمد محي الدين أبوزكو

(مديـــــــــنة الحب، أمشي في شوارعـــــــك ..

وأنا للحب محمولا بأكفـــــــــــاني

صبو العذاب علـــــــى جســـــــــــــــدي ..

فلا شهود على تعذيب سجـــــاني)

نزار قباني.

عزيزتي

استيقظت بصداع بغيض في مقدمة رأسي، تدور الغرفة من حولي، أغمضت عينيّ لبضع دقائق، وعندما فتحتهما مرة أخرى ما زال المصباح الموجود على الطاولة الليلية ثابتًا، وكل شيء آخر ثابت في مكانه.

شربت الكثير من الخمر الليلة الماضية وحدي، متى كانت آخر مرة شربت فيها بصحبة آخرين؟ لا أذكر سوى أني فعلت ذلك منذ وقت طويل جدا، لا أستطيع حتى أن أتذكر كم من الوقت كان.

موتاً هنيئا   رواية

محمد محي الدين أبوزكو

أجد صـعوبة في النهـوض من سـريري والـدخول إلى الحمــام، يتــوجب علي الــذهاب إلى العمــل، بغض النظر عن مدى شعوري بالمرض.

أعيش في اســتوديو في الطـــابق الســفلي حيث لا يصل ضوء الشمس الى هنا ابـدا، لـذلك لا أظـل في المنزل أثناء النهار.

إلى جانب ذلك ، يمكنني أن أنـام في العمـل ولا أحـد يشكو، أنا وحيـد مثـل ذئب مـريض وعجـوز تـبرأ منـه القطيع وأعيش وحدي في هذه الغابة المسماة مدينة الخرطوم.

ليس لدي أصدقاء أو أقارب في هذه المدينـة، ولكن لدي أخ في القضارف أراه بين حين وآخر، كانت آخر مرة رأيته فيهـا قبـل خمس سـنوات عنـدما كـان في إجازة، وتوقف ليراني في طريقه إلى أوروبـا، أنـا لســت مــنزعج من وحــدتي هــذه في الحقيقــة أنــا أستمتع بها.

لقد هجرتني زوجتي منذ عشـر سـنوات، لم تسـتطع تحمل العيش مع مفلس وفاشل، لا ينجـز، ليس لديـه طموحات، هي مثل معظم النساء ترى الرجال مجرد محافظ نقدية.

لقـد أرادت هـذا وذاك وأرادتــني أن اشـتري لهـا مـا يطيب لعينيهـا - على حـد تعبيرهـا لأجعلهـا فخـورة، وأجعل حياتنا أفضل.

لكني رفضت الإنصياع لطلباتها الكثيرة، واضجرني تزمرها المتكرر، رغم علمي بأنها تحبني، ولكن كثرة المطالب تقتل الحب دوما، فبعد بضع سنوات حاولت تحويلي إلى شخص اعتقدت أنه كان يجب علي أن أكونه، وفشلت في ذلك – ثم ذهبت بعيدا.

قلت لها إنني سأظل ما أنا عليه وألا تحاول أن تجعلني شخصًا آخر، كل ما أريده هو سقف فوق رأسي، وظيفة أذهب إليها كل يوم، والشعور بالرضا والأمان - لا شيء آخر، أنظر إلى الأشخاص ذوي الطموح وأشعر بالأسف تجاههم، ما فائدة قتل النفس مقابل بضعة جنيهات إضافية؟ القوة، المكانة، الشهرة، المال؟ الأشياء التي تجعل الرجل يعتبر ناجحًا؟ جميعها لا تعني شيئا بالنسبة لي، في الواقع، إذا كنت بحاجة إلى الموت الآن فسأكون على استعداد لذلك، ولكن يجب أن يكون ذلك لسبب وجيه، مثل إنقاذ حياة طفل يبلغ من العمر ثلاث سنوات، أو كاس خمر قديم ومعتق.

دام زواجنا عامين فقط، بعد قصة حب عنيفة جدا، كنت في سن الخامسه والثلاثين، إنه عمر مثالي للإستقرار العائلي وبناء أسره، ثم إكتشفت أصابتي بالسكري، وارتفاع نسبة الكوليسترول في الدم، أخفيت الامر عليها لمدة شهر، حتى تأكدت من الأمر يقينا، كنا قد اتفقنا على تأخير انجاب الأطفال حتى السنة الرابعة من زواجنا، أي حينما تبلغ هي من العمر خمسة وثلاثون عاما، والحمد لله أننا فعلنا ذلك.

موتاً هنيئا   رواية

محمد محي الدين أبوزكو

حينما أخبرتها كان أول ردة فعل لهـا هي سـؤالي إذا كان العلاج يكلف مالا كثيرا؟ و حينها تأكدت أن شعلة الحب في قلبهـا تجـاهي قـد خبت، لم تسـألني عن مـدى خطـورة المـرض علي، حـتى لم تسـألني عن مــدى تــاثيره على قــدرتي الجنســيه، كــان همهــا الشاغل فقط ثمن العلاج.

كان هـذا الشـرخ الأول في علاقتنـا، بعـدها أصـبحت كثيرة الشكوى مما ينتظرنا غدا، و عما سـيحدث لهـا اذا أصابني مكروه ما، وفي ذات يوم بعد عـودتي من العمل وجدتها تحدث إختها عبر الهـاتف عن شـعورها بالخوف، ليس لفقدي أنا، بـل الخـوف من مصـيرها بعدي، لقد كانت تشعرني اني مصابا بالسـرطان، او بالايدز معـاذ اللـه، تلـك الأمسـيه شـربت أول قنينـة خمر في حياتي.

تطور النقاش بيننا الى ان وقـع الشـرخ الثـاني حين ضــربتها على وجههــا، اعلم اني اخطــأت في ذلــك، كانت تلك المرة الأولى التي ارفع يدي على أنثى بـل على شـخص مـا، كنت متعبـا جـدا من العمـل، علي أقسـاط الشـقة المتـاخرة و أصـبحت أكـثر حـدة في شـرب العـرقي، عـدت ذلـك المسـاء دون أن احمـل معي كيس خضار كانت قـد طلبت مـني احضـاره، لم يكن الامر يستحق فعلا كل ذلك التـوتر، أخبرتهـا اني آسف على ذلك، وسوف اخرج واشتريه بعد أن ارتاح قليلا، لكن وبغــير عادتهــا بــدءت في الصــراخ علي، والــتزمر من العيش معي، بــل وصــفتني بــالمريض المحتضــر، وذهبت أكــثر من ذلــك، رأت اني عــاجز جنســيا لأن فكــرة تــاخير الإنجــاب هي فكــرتي من

الاساس، لم استطع التحمل، كانت قوة الضربة على خدها الأيمن كافية لكي تسقطها أرضا.

تصالحنا بعد ثلاثة أيام كنت أظل خلالها خارج المنزل، اعود من العمل أضع لها مصروفها فوق المنضده الكبيرة، اخرج لأشرب العرقي أمام منزلي حتى افقد الوعي، في الصباح أعود الى الداخل أغير ملابسي وأذهب الى العمل.

في صباح اليوم الثالث لم ادخل الى المنزل، اذكر أنه كان يوم الجمعة بالتالي ليس لدي عمل، خرجت لتجدني فاقد الوعي تماما، حملتني الى المشفى لتكون القشة التي قسمت ظهر البعير، إكتشفنا مرضي بتليف الكبد، وقرر المشفى أن أجري فحوصات دورية خشية من تعرضي لنوبة أفقد من خلالها الوعي في أي مكان وأي وقت.

صالحتني واعتذرت عما جرى، وصارت اكثر عطفا من السابق، ربما ظنت اني على مشارف الموت، فالنساء يصرن اكثر عاطفيه تجاه من يقترب الموت منه، و بسبب تغير طريقة تعاملها معي شعرت حقا اني قريب جدا منه.

لمدة ستة اشهر كانت تناديني ب(حبيبي) و تطبع قبلة على خدي حين اغادر الى العمل وحين اعود، حتى انها اصبحت تحرج لتشتري مستلزماتها ومستلزمات المنزل بنفسها، حقا راعني هذا التغير الكبير، وقد شعرت بانها تحاول تعويضي عن الأيام السابقة بقليل من العطف قبل ان ألتحف التراب،

وقـد قـالت لي يومـا انهـا الحقيقـة – انت تحتضـر – وعليك تقبلها، لم اجيب عليها.

نحن جميعـا نحتضـر، فلا احـد يعـرف مـتى سـيموت، واذا كان على كل مريض التسليم بحتميـة موتـه، مـا فائدة الأمل.

انـا لا انكـر حقيقـة مـدى خطـورة الامـر علي، بـل اتعـايش معـه، اتقبـل مصـيري ولا استسـلم لـه لأن الامل بتغيره لازال ينبض في صدري.

كنت على وشك مفاجأتهـا بعيـد زواجنـا الثـاني، هي تحب السمك و عصـير الليمـون الـدافئ، لـذا حجـزت لعشاء خاص في احد أكثر المطاعم الـتي نحبهـا نحن الاثـنين، مطعم امـواج في شـارع مطـار الخرطـوم، حيث إلتقينا قبل عامين، لكن ذلـك اليـوم كـانت هي من فاجــأتني، وكأنهــا اختــارت التــوقيت المثــالي للرحيــل، حيث صــادف أن كــانت البدايــة و النهايــة لعلاقتنا في ذات اليوم.

عدت إلى الشقة ذلك المساء، ووجدت ملاحظـة منهـا تقول إنها تريد الطلاق، وإذا لم اشاء فأنا حر.

تحققت من الشقة وتأكدت من أنها قــد ذهبت، لقــد اختفت جميـع أغراضـها الشخصـية، بدايـة من كـريم البشرة وصولا إلى فرشاة أسنانها.

كنت أعـرف ان هـذا اليـوم سـيأتي لـذلك لم أتفاجـأ أبدا، وتمنيت لو انه كان في يوم آخر، أحزنـني جـدا أن يكون افتراقنا الآن حيث ذكرى لقاءنا.

جلست على الأريكة وفكرت ماذا سأفعل الآن؟ هل يجب علي أن أبحث عنها وأطلب منها العودة؟ لا.

في هذه البلاد والآن بوجه التحديد، لكل فرد الحق في حرية اتخاذ القرارات التي تناسبه وما سيقرره هو ما سيقرره لأنه حر في ذلك.

لذلك تركت فكرة البحث عنها، ولكن حتى لو كنت أرغب في البحث، فمن أين أبدأ؟ كان لديها أقارب وأصدقاء في المدينة وفي ولايات مختلفة ، لكن لم يكن لدي أرقام هواتفهم.

أوه، بحقك استسلم، يا لها من فكرة سخيفة، البحث عن امرأة هجرتك وإعادتها رغماً عنها؟ هذا أمر غبي جدا، إن الرجل السوي لا يفعل ذلك.

لذلك استقريت في هذه العزلة، لمدة شهرين لم أسمع أي شيء عنها و فكرت حقا في ترك الشقة والانتقال إلى مكان آخر.

لا يعني ذلك أن الشقة ذكرتني بها، في الحقيقة ربما فعلت ذلك مرات قليلة، لكن لم يكن هذا هو السبب.

كان الدافع الاساسي هو أنني أريد مكانًا أرخص، لم أستطع تحمل إيجار شقة كاملة يجب أن أجد استوديو، أو ربما مجرد غرفة في منزل داخلي.

ذات يوم اتصلت وسألتني:

كيف حالك.؟

بخير. وأنت؟

بخير، قالت ذلك ببطء.

أين أنت؟ سألتها.

لكنها رفضت أن تقول.

لم أتمكن من سؤالها عن المكان الذي تقيم فيه ذلك اليوم.

قد تكون لا تزال في الخرطوم ، وليست بعيدة جدًا عني، أو يمكن أن تكون على بعد 1000 ميل.

قلت لها:

إنني سأخرج.

فقالت حسنًا.

ثم صمتنا لبرهة وقلنا وداعا.

هكذا بكل بساطه.

فكرة اختفاء شخص ما من حياتك وأن لا تراه مرة اخرى، حتى في حالة الموت هي فكرة مرعبة جدا.

ثم انتقلت بعدها إلى هذا الإستوديو الذي يقبع في الطابق السفلي من عمارة في الخرطوم المعموره، له نافذتان تطلان على الرصيف وكل ما أراه يسير على الأقدام.

لا يصل ضوء الشمس هنا ومع ذلك، في نهاية الرواق يمكنــني الــذهاب إلى الفنــاء الخلفي حيث يمكنــني رؤية السماء الزرقاء.

هنــاك زوجــان عجــوزان في الغرفــة المجــاورة لي، وفي الغرفة الأخرى المجاورة لي أيضًــا توجــد امــرأة شابة.

هنا ، نادرًا ما يرى الناس بعضــهم البعض على الــرغم من قربهم الشديد، نتبادل التحايا حينما نتصادف في بوابة العمارة او في السلالم، لكن يمكننــا أن نشــعر بوجود بعضنا البعض بوضوح شديد لأن الجــدران بيننــا رقيقــة جــدا، في منتصــف الليــل ، يســعل الرجــل العجــوز، وتتــذمر المــرأة العجــوز بــدورها، وتهمس الشــابة على الهــاتف مــع صــديق مــا. و أنــا؟ الــتزم الصمت التام طيلة الليل، صمت كئيب.

أذهب إلى العمل كل يوم -عملت في نفس الوظيفــة لمدة عشر ســنوات، اعمــل في دائــرة الضــرائب في المدينة، لــدي ألفي جنيــه في البنــك، وظــل المبلــغ كما هو يرتفع احيانا و يقل احيانا أخرى لكنه يبق في دائرة ألفي جنيها، ما يكفي للبقــاء على قيــد الحيــاة في حالة طوارئ قصيرة.

كل ليلة أشــرب ســتة عبــوات من العــرقي البلــدي أو زجاجة 750 مل من النبيذ – حتى يغمى علي، لا أنام نوما طبيعيا ابدا، بينمــا في الصــباح أســتيقظ مصــابًا بصداع ثقيل، أذهب إلى العمل مثل أي شخص عادي،

موتاً هنيئا رواية
محمد محي الدين أبوزكو

"عـادي" بمعـنى أن لـديك وظيفـة ودخلًا منتظمًـا ولا يفوتك يـوم عمـل أبـدًا، إلا عنـدما تكـون على وشـك الموت.

أنا موظف حكـومي، في هـذه الوظيفـة الـتي تـوفر أمانًا مضادًا للرصـاص، لا يسـتقيل النـاس للبحث عن فرص عمل أفضل، لكنهم إما يتقاعدون عن العمل أو يموتون أثناء العمل.

ماذا اريد انـا؟ أنـا أفضـل التقاعـد ولكـني أخشـى أن أتوقف عن العمل فجأة، أعـاني من مـرض السـكري وارتفـاع الكوليسـترول بالإضـافة إلى مـرض تليـف الكبد - وأنـا مـدمن على العـرقي البلـدي ذو الرائحـه الرائعـة، كريهـة لكن رائعـة، و كـل انـواع الكحـول الاجنبية و محلية الصنع.

في صباح ما لا أذكـر أي يـوم بالضـبط وفي طـريقي نحـو العمـل خـرجت من حفـرة مـا سـقطت عليهـا، وأعتقـدت أنـني قـد أسـقط ميتًـا في طـريقي إلى محطة التاكسي.

إنــه خــوف يســكن في دمي لأنــني أعــاني من دوار وضيق التنفس في الصباح، لذلك أتجنب النزول إلى الشوارع المهجورة، بدلاً من ذلـك، أسـير على طـول الطريق الكبير حيث يوجد أشخاص وحركـة مـرور لأن فرصة نقلي إلى المستشفى أفضل مما لـو كنت في الشوارع الخالية.

موتاً هنيئا   رواية
محمد محي الدين أبوزكو

أعيش في هذا القبو و روتيني اليـومي لا يتغـير ابـدا استيقظ في الساعة السابعة، اخرج منه في الساعة الثامنة وامشِ إلى محطة التاكسي، اصل إلى العمل السـاعة التاسـعة، أتنـاول غـدائي السـاعة الواحـدة، اتـــرك المكتب في الخامســـه، اعـــود الى المـــنزل الساعة السادسه مساء.

اغسل قدماي المتعرقتان ثم اسـتلقي على السـرير، اشاهد التلفاز بينمـا أتنـاول زجاجـة عـرقي أو اثـنين أحيانا من البيرة، واحيانا ثلاثة زجاجات من أي كحول اخرى، في الثامنة اخرج للبحث عن العشاء.

مع إستمراري في الشرب ادخـل إلى إحـدى مقـاهي الإنـترنت في الخرطـوم شـرق، أتحقـق من رسـائل البريد الإلكتروني ورسائلي في مواقع التواصـل لكن في معظم المــــرات أجلس في مقهى الإنـــــترنت بـــالحي، اعـــود إلى الطـــابق الســفلي في حـــوالي الساعة العاشرة، اشرب المزيد من العـرقي وأتنـاول حبة نوم، أفقد الـوعي في حـوالي السـاعة الحاديـة عشر. "أذهب في سبات عميق" نوم أشبه بالغيبوبـــة، غيبوبة ليليـة، أحلام قليلـة ونوبـات هلـع متعبـة، ثم في السابعة من صـباح اليـوم التـالي ، يهـتز المنبـه، إنه يوم ممل آخر.

هل اشعر بالوحدة في حياتي؟ لا.

هل أحتاج إلى رفيق قد يؤنس وحدتي؟ ليس صحيحا.

هل أحتاج لممارسة الجنس وهل أحتاج إلى عاهرات؟ بالتاكيد احتاج لذلك.

هذه هي الطريقة التي أساعد بها بنات الهوى، كنت قــرأت على فيســبوك مقولــة قصــيرة تقــول (كي تساعد العاهرات عليك بالذهاب لهن و منحهن الدفء والمال) دون الخوض فيما اذا كانت هذه الجملـة نـوع من الــدعايا لهن طبعــا، هــذا إلى جــانب الرغبــة المزعجة والملحه في مواقعـة أنـثى من حين لآخـر - ويمكنــني إمــا أن أذهب الى بيــوتهن أو اصــطحب إحداهن إلى فندق.

- أنــا بخــير؟ نعم ، أشــعر أنــني بحالــة جيــدة معظم الوقت.

ولو انني لم أذكر تناولي 60 ملليغرام من المسـكنات ذوات المذاق المر كل يـوم، لكن هـذه هي الطريقـة التي أبقى بها بخـير، أو ربمـا هـذا الـروتين اليـومي أصبح مثل العرقي، إدمـان من نـوع مـا بالنسـبة لي، لست متأكدًا من ذلك، لكن تنـاول مضـادات الاكتئـاب كان عادة يومية لسنوات.

(١)

سأقع يوماً في حُب فتاة قصيرة، تعشق الكتب، تُحب الأغاني الحزينة، وأكتب لها قصيدة كل ليلة.

شخص آخر يرحل من حياتي

مساء أحد أيام السبت بعد تناولي الطعـام والشـراب، ذهبت إلى مقهى الإنترنت في الحي.

كان المكان مظلما من الداخل لا ضوء فيه او مصابيح إلا ضـوء شاشـات الكمبيوترالهادئـة والمـترددة الـتي

تتحول كما تشاء من ازرق الى ابيض احيانا الى اصفر، صمت قاتم السواد، يدفن الناس رؤوسهم في الألعاب أو في أي شيء يكونون فيه على أجهزة الكمبيوتر، مواقع التواصل الاجتماعية، او ألعاب الإنترنت، أو الافلام الاباحية، كل له إدمانه و خصوصيته، وكل شيء مباح فعله ما دمت لا تأذي أحد.

دفعت ثلاثة جنيهات وجلست في زاوية بعيدة عن الباب وساكنة كهدوء البحر، هذا المكان يسمى Easy Cafe، بجواري مراهق يلعب لعبة ما، بجانبه رجل مسيحي بصليب يتدلى من عنقه، يقرأ كتاب على احدى المواقع، نحن على حافة أكبر تجمع للمسيحيين في السودان.

أتساءل عن الرجل المسيحي، ماذا يفعل هنا في هذه الساعة من ليلة السبت هذه بالتحديد؟ يجب أن يكون في المنزل كي يستعد ليوم احتفالهم بعيد مولد المسيح غدا.

أضع نفسي بشكل مريح على كرسي مرتفع الظهر وأفتح آخر زجاجة عرقي لي في الليل، أقوم بتسجيل الدخول إلى حسابي، لدي ساعتان، أجلس وأرتشف العرقي وأتصفح ما يعرضه الموقع لي.

يسألني صوت في داخلي، ماذا تفعل في ليلة السبت عادة؟ ماذا يفعل وحيد مثلك هنا؟ تحتسي العرقي كريه الرائحه أمام الاطفال، وتأكل في مطعم شعبي يملء الذباب جنباته، والآن تجلس في هذه الزاوية المظلمة أمام شاشة زرقاء، وتشعر وكأنك تقتل نفسك.

الانتحار ليس فكرة سيئة ابدا يمكنني السير إلى السكة الحديدية القادمة من ودمدني الآن وأرمي بنفسي في مسار قطار قادم بكل سهولة و ينتهي كل شيء.

ما الذي سينتهي؟ الحياة.

هذه الحياة؟ هذه الحياة النتنة لك؟ بالتأكيد، لكن رغم عنها أنا بخير.

أنت تقول أنك "بخير". لكن ماذا تعني بكلمة بخير؟ يعتمد ذلك على كيفية تعريفك لها.

مثلما يقول سكير في طريق مزدحم عندما يتم استجوابه حول محاولته معاكسة "تلك المرأة".

كل هذا يتوقف على معنى كلمة "هي". نفس الشيء مع كلمة بخير، يفهم الناس "المعنى" بشكل مختلف.

تمامًا مثلما يقول شاعر يكتب عن الوطنية والاستعباد، إنه يتفوق على شعراء الحب والرومانسية بتعريفه بذكاء بأن (الكلمة هي باب الوصول إلى الثورة الكاملة للنص).

عندما تسأل شخصًا ما كيف حالك ، فيقول إنني بخير - كيف يفترض أن تفهم ذلك؟

بخير؟ ماذا تقصد بخير؟ أنت لا تعرف ما تقصده.

قد تعني الغرور، أو أنني أشعر بالقرف، ولكن لماذا يجب أن أخبرك؟

أريد أن أنقذك من إهانة الاضطرار إلى شم قـذارتي، علاوة على ذلك، أعلم أنك لا تهتم، أو بخير قد تعـني أنني لا أشعر بشيء.

أنا كيس من اللحم والعظام والدهون والدم وسـوائل أخرى، وهذه الحقيبة المختلطة ليس لها أي مشاعر.

أستيقظ في الصباح وأذهب إلى العمل بـرأس فـارغ وقلب بارد، أقوم بعملي في نفس الحالة الذهنية.

ويمضي اليوم هكذا، انا انسـان آلي لكن بـالطبع، إذا لكمني شـخص مـا على وجهي فجـأة، فسـوف أشـعر بـالألم والغضـب، لكن هـذا لا يعـني بالضـرورة أنـني أشعر بالألم والغضب، هذا الجسد فقـط الـذي يشـعر بذلك.

لكن أشياء من هذا القبيـل لم تحـدث أبـدًا ولا أعتقـد أنها ستحدث أبدًا لأنني رجل "لطيـف"، وأبقى بعيـدًا عن طرق الناس، وخاصة المجانين، لذا أنا بخير.

الأوقات الوحيدة التي أشـعر فيهـا أنـني لسـت بخـير هي عنــدما أكــون مفلســا أو في حالــة ســكر مثــل الظربان - بروح عالية - وأقوم بأشياء مجنونة.

مثل محاولة شـرب المخـدرات أمـام سـيارات رجـال الشــرطة. وعــادة لا اشــرب المخــدرات الا في حالــة تعذر حصولي على الخمر، أو عندما أسير في نشــوة تجعلني أشعر بسعادة غارقة في حب البشــرية، لكن في معظم الأحيان ، أنا بخير.

أقوم بتسجيل الدخول إلى حسابات البريد الإلكتروني الخاصة بي وكل ما أجده هو خردة، فأحذفها.

كانت آخر مرة أرسل لي أحدهم أي رسائل بريد إلكتروني أورسائل شخصية منذ زمن بعيد عندما كنت أجري حوارًا عبر الإنترنت مع امرأة على بعد 1000 ميل في اليوم السابق، كانت من مدينة ودمدني.

لقد التقينا على موقع ويب للتواصل وحققنا نجاحًا رائعًا. ثم تبادلنا الرسائل بشكل مستمر لما يقرب من عامين، مرتين أو ثلاث مرات في الأسبوع.

لقد حددت في داخلي أعمق تفاصيل حياتها - بما في ذلك أي يوم من الشهر تنزف فيه عادة.

لم يكن لدي أي سبب للشك في صداقتها أو صدقها، لكن لم يكن لدي الكثير لأخبرها به عني ، باستثناء عملي ووحدتي الجميلة.

أرسلنا بعض الصور لبعضنا البعض، هي كانت تبحث عن علاقة طويلة الأمد وانا ليس لدي ذلك الحماس من أجلها ولكن في رسائلي الخاصة ، أعطيتها انطباعًا أنني قد أكون قادرًا على فعلأي شيء لها في تلك الأيام.

كانت في أوائل الثلاثينيات من عمرها، وبالنسبة لامرأة وحيدة في ذلك العمر، فقد شارف الوقت بالنسبة لها على العثور على رفيق لها، ثم وجدت

شخصًا ما ليس مجرد فكرة مجردة في الفضاء الإلكتروني مثلي، ولكن شخصًا في جسد حقيقي وملموس، وفي الفضاء الألكتروني.

كتبت على حسابها عن الرجل الذي وجدته وتوليت أنا دور المستشار في علاقتها، وكنت جيدًا للغاية في الدور، ثم انفصلت عن الرجل.

وبعد فترة وجيزة، وجدت واحد آخر ولكن هذه المرة انتهت علاقتها به بخيبة أمل أيضًا.

واصلت السير، وأبلغتني بشؤونها مع هذا الرجل، وطلبت نصيحتي التي كنت دائمًا على استعداد لتقديمها رغم أنني عاجز عن مساعدة نفسي، لكني كنت ايضا اساعد غيري في نفس الوقت.

هل يعجبني ما أفعله؟ لا. أنا أفضل أن أجعلها تأتي إلى سريري، لكن كان هناك محيط وسبعة بحار بيننا ولم يكن لدي الوقت أو المال للتغلب عليهم.

في بداية السنة الجديدة، تبادلنا الهدايا. أرسلت لها نسخة من رواية "العاشق" ، أحد كتبي المفضلة، وأرسلت لي ثلاثة كتب مهداة بإسمي، للمرة الأولى ، رأيت كتابات يدها، كانت لطيفة وناعمة.

لكن في النهاية ، فقدت كل أمل رسمته حول جسدها العاري بجانبي و بإتفاق صامت بيننا، أصبحنا أصدقاء - مهما كان معنى ذلك.

إلى جانب ذلك ، بالنسبة لي كانت مجرد لعبة لم أكن جادًا. وكنت أيضا غير حاسم، إذا كنت أرغب في أن أكون جادًا وأكملت معها حتى نهاية الطريق، فسيتعين علي أن أصرف ما يصل إلى عشرة ألاف للسفر ، والزفاف ، والأشياء الأخرى المتعلقة بالزواج، ومع صديقاتي في الليل وصديقاتي في الزجاجات كريهات الرائحه لا يمكنني توفير هذا المبلغ، ربما في غضون عشرة اعوام.

اعتقدت أنني إذا اقترحت عليها علاقة من نوع ما، فلن ترفض، لكنها ربما كانت تعرف أنني ازدواجي في التناقض، لذلك أبقتني بعيدًا وقريب في نفس الوقت، كصديق ومستشارة في شؤون القلب و أنا لا صلة لي من قريب اوبعيد بهذه الشؤون.

أصبحت حضنًا لها لتحتمي به ، كتفًا تبكي عليه. أثناء مراسلتنا، كانت متورطة مع ثلاثة رجال ، وجميعهم كسروا قلبها ، ثم ضربوه بالأرض.

ثم ذات يوم ، سافرت إلى ودمدني، كنت في إجازة. بمجرد وصولي إلى المدينة ، اتصلت بها على هاتفها المحمول وأجابت بصوت نائم على الرغم من أن الوقت كان يقارب الظهر.

كانت هذه هي المرة الأولى التي تحدثنا فيها على الهاتف ، وبدا صوتها لطيفًا. قدمت نفسي، لكنها لم تبد متحمسة أو متفاجئة على الإطلاق. ومع ذلك، اتفقنا على الاجتماع في مقهى.

في يوم الاجتماع ، ذهبت إلى المقهى قبل الموعد بساعة، كان المقهى الأجنبي الوحيد في المدينة و يقدم الخمور الأجنبية تحت حماية الحكومة.

كان الموعد في الساعة 11 صباحًا، وصلت في العاشرة وبدأت أشرب عصيري المفضل.

كان المقهى على الرصيف. وكانت لدي فكرة غامضة عن الشكل الذي قد تبدو عليه، امرأة نحيفة وطويلة، ذات شعر قصير بعض الشيء ولامع، ابتسامة مشرقة وعيون حزينة، لأنني رأيت صورها.

وقد تعرف كيف أبدو أنا أيضًا، شربت ثلاثة قنينة من البيرة المستورده. والتي كانت ساخنة جدا.

الساعة عشرة وثلاثون دقيقه: قنينتان من البيرة.

عشرة وخمسة وأربعون: ثلاثة.

أحد عشر: أربع قنينة ---- ولا مشهد لها.

قلت لها إنني أريد أن أراها مرة واحدة فقط، وبعد ذلك لم نكن بحاجة لرؤية بعضنا البعض مرة أخرى.

أحد عشر و ربع: خمس قنينة وما زالت لا ترى.

أنزلت أوراق النافذة وفحصت المشهد أمامي والناس يسيرون على الرصيف، كان صباح يوم الأحد. لقد تأخرت، أم ماذا؟

أحد عشر ونصف: ستة قنينة ولم يقترب مني أحد بابتسامة.

وقفت النادلة على بعـد أمتـار قليلـة، مسـتعدة لجلب قنينـة أخـرى من البـيرة، الطريقـة الـتي طلبت بهـا البيرة بعد البيرة، عرفت أنني كنت مدمنا قديما.

ارتفعت درجة الحرارة مع تقدم اليوم، وبدأت أتعـرق. على بعد بضع طـاولات، كـان هنـاك زوجـان يجمعـان رؤوسـهما معًـا ويطعمـان بعضـهما البعض من الآيس كريم، يا لحظ هذا الرجل.

أشرت إلى النادلة لتناول بيرة أخرى.

أحد عشر وخمسة وأربعين دقيقة: سبعة قنينة.

كـان الضـجيج في رأسـي يرتفـع الآن بصـوت أعلى، وبدءت أشعر بالسكر.

الظهر: ثمانيـة قنينـة من الخمـر. ثم وقفت، ودفعت الباب الزجاجي الشفاف، وخرجت.

عدت بسيارة أجرة إلى فندقي. اتصلت بهـا ، لكن لم يكن هناك جواب، قلت لنفسي، هذا كل شيء.

بعد شهرين، مما لم أكن أعرفه، كتبت إليها، لكنها لم ترد أبدًا. ثم اختفى شخص آخر من حياتي.

(2)

في مرحلة ما من حياتك ستدرك أن العثور على الشخص المناسب، لا يتطلب سوى أن تبحث عمن يتقبل طباعك، لا عمن يحاول تغييرها.

الملكة الغامضة

في ليلة السبت تلك جلست ورأسي فارغ مثل البرميل، إن المقهى شديد الإزدحام الليلة.

الأطفال ليس لديهم مدرسة غدًا بسبب عيد مولد سيدنا المسيح عيسى عليه السلام، لذا فهم هنا للعب الألعاب والتسلية أي كانت نوعها، ما يهم أنهم يستهلكون وقتهم على الإنترنت.

أضغط على لوحة المفاتيح ، بدون سبب محدد، أقوم بالتسجيل و إنشاء حساب باستخدام اسم مزيف على فيسبوك.

في الملف الشخصي ، أقول إن عمري 100 عام وأنا هنا للتواصل والبحث عن الأصدقاء وأشياء مماثلة.

أقول إنني مهتم بالنساء اللواتي تتراوح أعمارهن بين 20 و 35 عامًا. وأضيف أنني شارب خمر بكثرة ومدخن شره، وليس لدي زوجة ولا أطفال ولا برنامج تلفزيوني مفضل .

في قسم "نبذة عني" ، أصف إحدى حفلات الشرب المعتادة التي ضيوفها الكثيرون يتجسدون في شخصي. بعد الانتهاء من الملف الشخصي ، بدأت في التصفح في غضون ساعة بعثت ما لا يقل عن 50 طلب صداقة. ثم انتهت ساعات جلوسي على جهاز الكمبيوتر، وعدت إلى المنزل أخذت حبة ثم أغمي علي.

ليلة الأثنين عدت إلى المقهى، إنها الساعة العاشرة مساء. أقوم بتسجيل الدخول إلى حسابي المزيف على فيسبوك.

معظم الناس قد قبلوا طلبات الصداقة التي أرسلتها لهم. قرأت بعناية بعض الملفات الشخصية للأشخاص الذين أصبحوا الآن "أصدقائي".

شخص واحد لفت انتباهي. وفقًا للملف الشخصي ، اسمها الأميرة الغامضة ، 20 عامًا ، تعيش مع عائلتها في ودمدني وطالبة فنون.

تنشر كل شيء عن عائلتها، من والديها إلى بنات إخوتها وأبناء إخوتها، تنشر كل شيء عنها وصولا الى عينات من أعمالها الفنية ولا تبدو سيئة على الإطلاق.

ترسم مناظر طبيعية ومنازل وصور شخصية وبعض الرسوم الكرتونية، تظهر صورة ملفها الشخصي وجهًا جميلًا مبتسمًا بشعر أسود طويل وعيون لؤلؤية.

شابة طفولية جدا، لذا قابلت فنانة، فنانة شابة جميلة، أنا أحب الفن وانا احب الفنانين، وها هي فنانة شابة واعدة. لا تزال تنمو، ولا تزال في بداية المرحلة الجامعة لصقل مهاراتها.

هناك شيء بريء فيها يأسرني، ملامحها تبدو مليئة بالمرح والفضول. لا أستطيع أن أتخيل ما قد يثير فضولها، لكن الفضول يكمن في عينيها وجهها بيضاوي مستدير تقريبًا - من النوع الذي يعجبني.

تنشر صورة تظهرها وهي تقف بجانب النافذة ، تومض بأصابع يدها اليسرى، تحديدا الوسطى والسبابه، مثل العدد سبعه كما يفعل الأطفال عند التقاط الصور.

بعثت لها برسالة أشكرها على قبولها لي كصديق، وأقترح أن نتواصل عن طريق الرسائل الخاصة، وليس من خلال التعليقات العامة التي ستظهر لكل الاشخاص الاخرين ضمن قائمة اصدقائها. أقوم بتضمين عنوان بريدي الإلكتروني في الرسالة لربما الفيسبوك أسهل لكني قديم الطراز، بالاضافه الى ان الدخول الى فيسبوك ممنوع اثناء العمل، ولكن البريد الالكتروني يمكنني استخدامه في مكتب المدير ولن يعترض، لأن اغلب تعاملاتنا هي عبر البريد الالكتروني، وهكذا استطيع التواصل معها وقت ما اشاء.

بعد يومين كتبت إليّ على رسائلي الخاصة، وقلت لنفسي ربما سيختلف الأمر هذه المرة، لكن قلقي من الماضي قال لي، شبح آخر سيختفي قريبا.

(٣)

في اللحظة التي أحدثك فيها عن فناني المفضل، سأكون قد وقعت في حبك بالكامل، هذا لأنني لا أشارك ما يلامس روحي إلا مع روحي.

قناع الشاشة الزرقاء

على شبكة الإنترنت وتحديدا في مواقع التواصل الالكترونية|الزرق، الخداع هو الممارسة، أنا أخدع الاخرين أحيانا حينما أحصل على فرصه، ولدي حوالي عشرة حسابات بأسماء مختلفة وكلها تحتوي على معلومات خاطئة.

في بعض الأحيان يكون من الصعب تتبعها - كل حساب لغرض محدد ومع شخص محدد.

انا أستخدم كلمتين من كلمات المرور لجميع حساباتي لمنع النسيان، مع هذه الفتاة، أستخدم حساب كلمة السر الخاصة به تنتهي بحرف E.

لكن هل هي فتاة أم جدة تبلغ من العمر 80 عامًا؟ قد تكون مالكة الحساب الجذاب هذا جدة تبلغ من العمر 80 عامًا من يدري؟ أو أي شخص آخر خلاف ما

يدعيه، يفعل ذلك من أجل بعض المرح غـير المـؤذي، مثلي تمامًا.

رجل أبلغ من العمر 47 عامًا، أخفي عمـري الحقيقي بالقول إنـني أبلـغ من العمـر 100 عـام. بـالطبع من يقـرأ ملفي الشخصـي يعـرف أنـني أمـزح، لكنهم لا يمانعون لأنهم يمزحون ويكذبون أيضًا.

أذكر انني تعرفت - في الفترة التي اسـتخدمت فيهـا فيسبوك حديثا - على فتاة اسمها سارة و كنت حينها أترك زوجتي حتى تغط في نوم عميـق كي أراسـلها، و في يــوم كــئيب اعــترفت لي بالحقيقــة المــرة، أخبرتني أنها جندي من الفاشر وحين تعرف علي انه فتاة، كان يتسلى فقط بينما يؤدي نوبته الليليـة في معسكر اسمه (كلمه) في مدينة نيالا.

رغم هذا لا أحد ارسـل لي طلب صـداقة في الموقـع على الرغم من ذلك، لأنهم عندما يتصفحون الموقـع، لا يبحثون عن شخص يبلغ من العمر 100 عام، لــذلك لا يظهر ملفي الشخصـي أبـدًا عنـد بحث أي شـخص، ثم إن أصــدقائي ال56 الموجــودين في قــائمتي هم جميع الأشخاص الذين أرسلت لهم طلب "الصــداقة" بنفسي.

بعـد ثلاث رسـائل، سـألتني الفتـاة عن عمـري حقًـا. كتبت:

أنا لا أعتقد أنك تبلغ من العمر 100 عام، فقلت لهــا إنني أبلغ من العمر 32 عامًا لا اعرف كيف قلت ذلك، بدا الامر لي وللوهلة الاولى انـني امـزح معهـا لكنهـا

تقبلت ذلك قائلة إنني في عمر أخيها الأكبر فقط، لذا تركت الكذبة تعيش لأجل غير مسمى، ولو ان مواقع التواصل لا يمكن ان تتبين فيها الكذب و الحقيقة بسهولة، لكن كل كذبة ستظهر يوما ما، برضاك او رغما عنك.

حينها قلت لنفسي ليس مهما، في ملفي الشخصي وضعت وجه قرد كصورة ملفي الشخصي. سألتني لماذا، بل وتريد أن ترى وجهي الحقيقي.

لذلك أرسلت لها صورتي، صورة تم التقاطها في الإضاءة الخافتة، وتظهر وجهًا شابًا. أنا في الطبيعة أبدو أصغر من عمري، بل أصغر بكثير ومع ذلك، أرسلت لها صورة أبدو فيها صغير جدا.

نكتب لبعضنا البعض مرة واحدة على الأقل في الأسبوع. لذا فإن الافتراض من جانبي هو: اسمي حافظ، 32 عامًا، أعمل في مصلحة حكومية، أعيش وحدي في مدينة الخرطوم، أبحث عن الصداقة وربما الرومانسية.

من جانبها ، تماشيت على أن اسمها الملكة الغامضة، 20 عامًا، وتعيش في ودمدني مع عائلتها التي تضم والديها وإخوتها وأخواتها، وهي طالبة فنون، تستخدم فيسبوك من أجل الصداقة فقط.

عادة، في مواقع التواصل، يتبادل الأصدقاء النقاش في المنتدى العام، لكن نحن نكتب لبعضنا البعض بشكل خاص ونحمي نقاشاتنا بشيء من الخصوصية.

ومع مرور الوقت، أصبحت اللغة في رسائل البريد الإلكتروني والفيسبوك أكثر حميمية، لكني لست متأكدًا مما إذا كان هذا وصفًا دقيقًا.

أشعر فقط أننا نقترب أكثر فأكثر من خلال السماح لبعضنا البعض بالبوح بالتفاصيل الشخصية لحياتنا. ثم بدأت أشعر بشيء غريب تجاهها، أو ربما المودة تجاه شخصيتها. في بعض الأحيان، تبدو كلماتها مدروسة للغاية وحكيمة بالنسبة إلى امرأة شابة في ذلك العمر. وأنا أكملها في هذا الأمر.

تطورت علاقتنا حتى بت أطلب رأيها في الأشياء التي تزعجني. أخبرها عن البيئة التي أعيش فيها، وعن عملي وأفكاري ومشاعري، وما أفعله يوميًا - وكلما أكتب إليها أكثر، كلما أصبحت أكثر صدقًا، لكني ما زلت متمسكًا بعمري المفترض وهو 32. ثم ببطء ، أصبحت خائفًا من رفضها لصداقتنا حين تكتشف حقيقة كذبي.

بعيدًا عن "العلاقة". إذا تبين أن الملكة الغامضة حقيقية، كما تقول، فأنا خائف جدًا من رفضها حتى لرؤيتي في الحقيقة.

وعاطفتي تجاهها لا تزداد إلا بعد كل رسالة تصلني منها، وإذا كان كل شيء صحيحًا عنها ، فأنا كبير بما يكفي لأكون والدها، لعنها الله، لكني اريد الحب وبالطبع، مثل أي رجل أريد امرأة شابة.

لكن المرأة الشـابة قـد لا تريـد رجلا أكـبر سـنا، في هذه الحالة، أنا أكبرها بسبع وعشرين عامًا، يا له من جدار هائل لتسلقه، ربمـا لن تكـون هـذه مشـكلة إذا كان لدي 20 مليون جنيهـا، وكـانت تحب المـال وهي على استعداد لأن تكـون ملكي مهمـا كـانت - زوجـة ، عشيقة أو أي صفة لعينة – بينما تسـمح لهـا بـالعيش معي ومـع رجـال في سـنها. أؤلئـك الرجـال الـذين يمكنهم ممارسة الجنس 10 مرات في اليوم.

أنـا، لا يمكنـني فعلهـا أكـثر من مـرتين - وليس هـذا فقـط ، يحتـاج الشـيء إلى قـدر كبـير من التحفـيز لينتصب.

أكره حقيقة أنني لست شابًا بعد الآن. وأنا أكره أكثر رغبتي التي تميل تجاه الشابات.

بعد ثلاثة أشهر من مراسلاتنا، تـوقفت الملكـة فجـأة عن الكتابـة، أصـبحت قلـق، أتسـاءل مـا الـذي حـدث لها؟.....

كتبت لها وأخبرتها أنني أفتقدها وأسألها عما يحــدث معها، وبعد فتة قصيرة تكتب لي مرة أخـرى وتقـول إنها كانت في أزمة عاطفيـة، وتعتـذر لأنهـا جعلتـني أشعر بالقلق.

قالت إنها تشـعر بالوحـدة المطلقـة. وأنهـا محطمـة، وقد كانت تبكي و فقدت الثقة في الناس.

و الآن لا تستطيع التركيز على المدرسة، ضغطت عليها للحصول على التفاصيل ثم عادت لي برسالة طويلة تصف ما حدث لها وأنها كادت أن تفقد عقلها.

كان لديها صديق منذ الطفوله، (صديق) شخص تحبه وتثق به، لكن بلا حب. كانوا مجرد أصدقاء مقربين، قبل بضعة أسابيع أعلن لها الرجل أنه يحبها ويريد أن يأخذ الصداقة خطوة أخرى إلى الأمام - وهددها بأنها إذا رفضت عرضه، فسوف ينهي صداقتهم، على الرغم من عدم وجود شعور حقيقي بالحب تجاهه بداخلها، وافقت على التصرف كما لو كانت حبيبته، لأنها لا تريد أن تفقد صداقته، إلى جانب ذلك أخبرت نفسها:

اسمحي له أن يأخذ فرصته ربما يقنعها و تقع في حبه.

وذات ليلة، أخذها إلى غرفته، وفجأة حاول أن يجبرها على ممارسه الجنس معه، مرعوبه قاومته ولكمته ثم صفعته وهربت.

قالت إنها لم تصدق أنه حاول القيام بمثل هكذا شيء معها، والآن رفضته كصديق، ولا تريد أن تفعل شيئًا معه.

لقد فقدت صديقًا عزيزًا - خسارة فادحة لها. ليس هذا فقط ، لقد فقدت الإيمان والثقة في صلاح الناس.

وقالت ايضا إنها احتفظت بما حدث لنفسها، وبكت تلك الليلة وحيدة حتى منتصف الليل، وشعرت وكأنها ستجن.

سحقا، اللعنة على هذا الرجل قد نال منها.

من الحماقة التورط مع شخص ما في علاقة ما، بينما انت غير متأكد من مشاعرك تجاهه وتفعل ذلك فقط لعدم خسارته.

يمكن اعتبار ما حدث لها محاولة اغتصاب يمكن مقاضاتها له إلى أقصى حد يسمح به القانون.

لكني أعتقد أنها تريد إبقاء الأمور هادئة بسبب خوفها من الفضيحه، كذلك حتى لا يعرف اهلها حقيقته الدنيئة.

نكتب لبعضنا البعض كل يوم بحماسة حول كل ما يتعلق بهذه الحادثة. وقد أعطيتها الكثير من النصائح في محاولة لمساعدتها على التعافي من الصدمة، في النهاية استعادت رباطة جأشها.

أخبرتني، إن الرجل اعتذر عن سلوكياته ويريد أن تعود الأمور بينهما إلى طبيعتها مرة أخرى.

وقد أخبرتها أنني لا أتفق معهم في استئناف الصداقة ، لأن ما حدث كان سيئًا للغاية.

طوال هذه المراسلات، كنت أشعر وكأنني أقع في حبها، ويصبح الشعور أقوى بعد كل رسالة جديدة تصل.

قمت بتغيير النبرة في رسائلنا، ومخاطبتها بشكل أكثر عاطفيه و غيرة. وفي إحدى المرات أنهيت

رسالة ما بكلمة "حبيبتي". في إحدى الرسائل المرسلة إليها ، ألمح إلى أنني مغرم بها.

لكنني أضفت أن هذا من طبيعتي الاعتيادية، وقد اكون متعاطفا معها اثنا فترة صدمتها تلك، لكن ردها بالمثل ليس لزاما عليها.

وهي تتحدث عن موضوعاتنا الإعتيادية، لم تذكر شيئا حول ما قلته سابقا ، ولكنها سالتني إذا كانت لدي فرصة للسفر إلى ودمدني ومقابلتها . وأن كان ذلك ممكنا علي أن أخبرها بذلك قبل أسبوعين لأنها لا تحب المفاجآت.

قلت لها إنها تجعلني أحبها، واجابتني إنها غير متأكدة من مشاعرها تجاهي، لأننا لم نلتقي أبدًا.

طلبت منها أن ترسم لي صورة، وأعطيها تفاصيل ما أريد في الصورة، وقلت لها إنها فنانة موهوبه، وهي وافقت على القيام برسمها لي، في الحقيقة علمت بأنها ستوافق، بل كنت متاكد من ذلك، لأنني استخدمت أسلوب تحبه كل أنثى وهو الإطراء، هذه طبيعة النساء ككل، هن يحببن المدح والإطراء حتى ولو نفاقا، وأقسم لكم، ان طلبت منها عينها ومدحت فيها أي شيء، ستقدمها لك بقبلة وابتسامة راضية.

كنت قد رسمت صورة منذ سنوات عديدة، فيها سماء زرقاء وداخلها زوجان من الأيدي مفتوحتان وداخلهن شفتين حمراويتين وقلب وفراشتين.

موتاً هنيئا رواية

محمد محي الدين أبوزكو

أذكر انني كنت في حالة حب بجنون مع فتاة مراهقة عندما رسمت تلك الصور، كانت لوليتا الـتي تخيلتهـا في احلام الصبا.

لكني نسيت ما حـدث لتلـك اللوحـة، ربمـا أكـون قـد تخليت عنهـا، أو فقـدتها أثنـاء إحـدى انتقـالاتي من شقة إلى أخرى.

أعطيت الملكة كل هذه التفاصيل ، وقالت إنها عندما لا تكـون مشـغولة جـدًا، فإنهـا سترسـم لي الصـورة بالألوان المائية.

في إحدى المرات ارسلت لي أغنية بهـا كلمـات تـدل على الحب من النظرة الأولى. شعرت بسعادة غامرة حين كنت أستمع إلى الأغنية مرارًا وتكرارًا، ثم بدأت أفكـر في أيامهـا ولياليهـا وقلت لنفسـي، يجب أن أراها.

أعلم أنني أعشق شبحًا وتجريدًا، لكن هذا التجريد قـد لمس شـيئًا في قلـبي وجعلـني أشـعر بالحيـاة، كـل مساء أذهب إلى المقهى وأتحقـق من رسـائلي على فيسبوك الخاصة بها. وهم لا يفشلوا أبدا في التواجد هناك، أنا مـدمن خمـر، وقـد أعطيت الـدواء، ويجب أن أحصل عليه كل يوم .

ذات يوم دون أي كلمة منها وكأنهـا ميتـة، أو حزينـة ومكتئبـة، حينمـا قمت بتوبيخهـا، إعتـذرت كطفـل كسرة كوب زجاجي قديم.

الآن هي تعرف أنني أحبها، لكنها لم تكشف لي عن مشاعرها أبدًا، وتتهرب من الموضوع في كل مرة أسألها بصورة غير مباشرة، قائلة إنها لا تستطيع أن تخبرني حتى نلتقي.

بالنسبة لها، أبلغ من العمر 32 عامًا "فقط" وهو نفس عمر أخيها الأكبر، لذا لن تكون مشكلة كبيرة إذا تقدمنا إلى ما بعد الصداقة.

لكني أصبحت قلق بشكل متزايد. لأنني لست بعمر ال32 ، بل في ال47، وكما قلت، أنا كبير بما يكفي لأكون والدها على الرغم من مظهري الصغير.

هل هي قد تقبل ذلك؟ لا أعتقد أ، هناك فرصة، بل لا أرى أي احتمال.

مرة أخرى سألتني، متى سأذهب إلى ودمدني و اقابلها ؟

لماذا هذا الإصرار؟

هل هي حقيقية؟

هل تشعر بشيء تجاهي لكنها لا تملك الشجاعة لذكره؟

و ربما تشعر بشيء غامض وتريد توضيح مشاعرها وتأكيدها برؤيتي امامها بشحمي و لحمي؟

بدأت في تدقيق النظر على وجهي وبقية جسدي في المرآة في كل فرصة أحصل عليها.

أرى الأكياس تحت عيـني، والشـعر الرمـادي والأبيض على رأسي، والأخدود حول فمي، والذقن المزدوجــة – لا تبــدو هــذه الملامح واضــحة، لكنهم موجــودون ويصبحون أكثر وضوحًا.

ومـا هـو أكـثر من ذلـك، لـدي بطـني الكبـيرة، في الوقت نفسه أتخيلها على أنها زهرة صغيرة 20 عامًا فقـط، جميلـة، تنبض بالحيـاة والفـرح والأمـل - على عكسي أنا، رجل عجوز مكتئب ومدمن على الكحــول، مهووس بالموت، ولا يعرف أبدًا مـاذا يقـول في أول لقاء مع شخص غريب، لقد كنت وحيدًا لفترة طويلة، حتى أعتدت الوحدة واعتادت علي.

لكن هـذه الفتـاة تضـخ في دمي الحيـاة وأنـا أعيش ببطء، بينما أتحمس لفكرة رؤية حبيبـتي الـتي أحلم بهـا، أخشـى من عـدم تقبلهـا، وهـو احتمـال قـوي بالنسبة لي.

لقـد قلت لنفسـي عـدة مـرات أنـه عنـدما أقـع في الحب، أريد فقط أن أحب ولا أهتم إذا بادلني الطرف الاخر ذات الشعور، و إنـني اقدرالشـخص الـذي يحب دون أن ينتظر مبادلته المحبه، وقلت ايضا انني فوق تلـك المشـاعر الإنسـانية التافهـة، ويمكنـني بكـل سهوله الاستغناء عن الحب غير المشروط.

لكن بالنسبة لي مجرد القدرة على الحب هو مرضي بما فيه الكفاية، وأنا ممتن لأن قلبي لا يـزال قـادرًا على الحب، وهناك من يمنحه الحب بالمقابل.

لكـني ادركت كم أنـا مخطئ لقـد كنت مثـالي، الآن بسـبب محبـتي لهـذه الشـابة، ناقضـت نفسـي، أنـا أريدها أن تحبني أيضًا، أريدها أن تحبني كمـا أحبهـا، وسأشـعر بالـدمار إذا لم تبـادلني الشـعور، حـتى اذا قالتها بفمها فقط حرصا منها على عدم كسر قلبي، لا يهمني مـا يهم ان اسـمعها منهـا، في النهايـة أنـا أحب وأريد أن أكون محبوبًا في المقابـل، مـا الخطـأ فى ذلك؟

بـدءت أخطـط في إجـازة والـذهاب لرؤيـة الملكـة الغامضة، لا يمكنني الانتظار أكثر من ذلك.

حجزت رحلة وأبلغتهـا بـاليوم الـذي سأصـل فيـه إلى ودمـدني، قـالت إنهـا حريصـة على رؤيـتي، لقـد أعطتني عنوان المكـان الـذي سـنلتقي فيـه، وكـذلك الوقت والتاريخ وكيف يمكنني التعرف عليها.

سـوف ترتـدي قميصًـا أحمـر وسـروال من الجيـنز الأزرق وقبعـة بيسـبول سـوداء، وذكـرت أيضـا إنهـا طويلة ونحيفة.

بدوري اخبرتهـا إنـني سـأرتدي قميصًـا أبيض وزوجًـا رماديًا من القفازات، بشرتي داكنة، وطولي لا يتعدى متر و سبعون سم، وأنني سأحمل بين يـدي صـحيفة مطوية.

الموقـع مقهى في وسـط المدينـة، بابـه يطـل على حديقـة دائريـة صـغيرة تجلس بينـه وبين الطريـق الواسـع الممتـد حـتى شـارع النيـل، سـأجلس على

طاولة زاوية عند الساعة الثالثة عصرًا، وستصــل هي بعد خمسة عشر دقيقة.

(٤)

قد يحتاج شخص مثلي مجرد ربع ساعة من الحديث، لأقرر أنك شخص جدير بالإهتمام.

ودمدني

وصلت إلى ودمدني في يوم ماطر، إنه شهر يوليو وفي هذه الزاوية من الأرض تستمر الأمطار الموسمية طوال هذا الشهر، سوف أسافر لمدة اربعة ساعات، بما في ذلك التوقف في مدن الكاملين والحصاحيصا لتناول الطعام واحيانا لاسباب يعرفها سائق العربة لوحده.

عقلي وقلبي في حالة عدم تركيز أنا مرتبك تماما في هذه اللحظه، مليء بالتوقعات، سعيد وحزين، وأيضا قلق بشكل غير إعتيادي- إن جسدي بالكامل عبارة عن وعاء يغلي من المشاعر المتضاربة.

لم أستطع النوم أثناء الرحلة على الرغم من كل الأقراص المنومه التي تناولتها، أنا لا آكل أثناء السفر، فقط أشرب المياه الغازيه، وقد سئم مضيف العربة مني.

خرجت من مبنى ميناء ودمدني البري ذو السور الحديدي القصير، ما زال صدء منذ آخر مرة زرت فيها المدينة، أحمل حقيبة ظهر صغيرة وليس لدي أمتعة كثيرة، في الحقيقة ليس لدي حاجة للأمتعة، يمكنني شراء ما أحتاجه في أي مكان وزمان، بالإضافة لذلك أستطيع تغيير ملابسي في أقرب حمامات عامة.

إنها تمطر رفعت عيناي أنظر إلى المطر وكأنني طفل صغير، ما هذه التصرفات التي إنتابتني فجأة، السماء كريمة جدا هي تحتفل بيوم قدومي لرؤية حبيبتي، أو تبكي لتبشرني بما هو قادم.

يسألني سائقو سيارات الأجرة عما إذا كنت أريد ركوب الخيل في المدينة او الذهاب الى شارع النيل، أهز رأسي نافيا، لا ليس الآن، يعتقدونني جئت المدينة للتنزه، كما يفعل عرب ظوط عادة، وهذا لا يعني التقليل من شأنهم، لكن عرب الولاية هنا،

وأقصد الذين يسكنون في أرياف مدينة ودمدني، يرونها جنة الأرض، ومعظم الذين يتزوجون منهم حديثا، يقضون شهر العسل في هذه المدينة.

لا أعرف ما هذه الأفكار التي تدور برأسي الآن، ولما بدءت أفكر في الزواج، و كل ما يتعلق به، بل ما شأني بأؤلئك العرب البدائيين.

ذهبت إلى مقهى ما ثم طلبت قهوة، هذا لأن بعض المقاهي ما زالوا يرفضون بيع الخمر، ويرونها حرام، حتى وإن سمحت بها الحكومة.

من هنا يمكنني رؤية ساحة انتظار السيارات والأمطار الغزيرة، ينزل المطر على شكل رشقات نارية قصيرة مدوية كل خمس دقائق أو نحو ذلك، أشعر وكأنني في حلم، الأشياء من حولي، الطاولات، الكراسي، الناس، المناظر الطبيعية، الضوضاء والموسيقى، المحادثات في الأفواه من حولي، كلها صور عائمة، رأسي يبحث في الغيوم عن قطرة ماء بعيدة، انا متعب جدا و ميت جدا.

موعد اللقاء مع الملكة غدا، سيول من الأسئلة تتسابق لتزاحم نفسها في رأسي، لكن الأهم من ذلك كله الخوف والرهبة التي تسكن جسدي وروحي الآن.

لقد سافرت إلى هذا الحد، في هذه الحالة الذهنية، فقط لمعرفة ما إذا كانت تخيلاتي لم تعد تخيلات.

هل انا غبي؟ هل أنا مجنون؟ هل أنا أحلم؟ ماذا لو تبين أن الملكة هي امرأة تبلغ من العمر 40 عامًا وقبيحة مثل الساحرة؟ ماذا لو لم تحضر؟

وماذا لو كانت كما تقول؟ إنها فتاة جذابة للغاية تبلغ من العمر 20 عامًا، لطيفـة وحلـوة كحلـوى الصـوفية في أعياد المولد النبوي؟

ولأنني لست ما أقوله أنا، فهي ربما ترفضني؟ ربمـا قد يسـخر الشـبان في سـنها على شـخص مـا أخـيرًا بسبب مواقع التواصل، ولن أكون أنا بالتأكيد.

تضع النادلة زجاجة مياه غازية وكوبًـا أمـامي وتقـول لي للمرة الثانية، اسـفه لا نـبيع الخمـر، دفعت لهـا ثمن الميـاه الغازيـة وذهبت بعيـدا، تتـأرجح مؤخرتهـا الكبيرة كقطعة حلـوى الكاسـتر الـتي كـانت تصـنعها زوجـتي، أريـد أن أوقفهـا في مسـارها وأعض تلـك الحلوى حتى تـنزف، وأريـد أن أشـرب دمهـا وأمضـغ لحمها كما في فيلم الزومبي، ومـاذا أنـا الآن إذا لم أكن زومبي؟

انتهيت من الشرب وخرجت، ساقي ليست قوية بمـا يكفي لتحمل وزن جسـدي ودمـاغي، لـوحت لسـائق تاكسي، وسرت معه إلى سيارته، انتهت آخـر موجـة مطر وستهطل مرة آخرى قريبًا.

خذني إلى فندق Hello Hotel ، قلت ذلـك للسـائق، كان هذا هو اسـم الفنـدق الـذي أقمت فيـه في آخـر مرة كنت فيها في المدينة، أنا فقـط أتـذكر الاسـم، وآمل أن يكون لا يزال يعمل.

من خلال زجاج النافذة أراقب حركة الدراجات النارية الكثيفة حولي في شارع الجمهورية، يهـرول النـاس على الجانبين في حركة دؤوبة، كل مشغول بوجهتـه

مثـــل رقصـــة معقـــدة في كـــوخ مليء من أبنـــاء الطاؤووس.

أفتح النافذة لأدخن سيجارة فيندفع شلال من ضجيج المحرك إلى الداخل لكنه يبدو وكأنه أزيز بعيـد لبحـر من النحل.

بعد المدة التي لا أعرفها، ربما تكون ساعة أو أكثرأو حـتى دقيقـة واحـدة ، وصـلت سـيارة الأجـرة إلى الفندق.

أخذ الموظف بطـاقتي وكتب اسـمي في دفـتر أزرق عريض، ثم سلمني مفتاحًا، سار معي صـبي ليـدلني على غرفتي، في الطابق الثالث.

غرفة بها نافذة كبيرة تطـل على الشـارع بالأسـفل. أعطيت خمسون جنيه للفتى الذي تناولها وهو يقول شـكرا وغـادر، أعـرف ان خمسـون جنيهـا بالنسـبة لبقشيش كثيرة جدا، لكن يـدور الأمـر حـول المنح و العطاء، انا سعيد جدا بكـرمي تجـاه الأخـرين، حـتى ولو لم استفيد بمقابل مثلما أفعل حينما أتكـرم على العاهرات.

أغلقت الباب خلفي ، وخلعت ملابسـي، عاريـاً ولكن لفترة وجيزة، جلسـت بجـوار النافـذة لفـترة ليسـت قليلة، أراقب النهار يتحول إلى الليـل، هـدأ المطـر إلى حد ما وفي الأفق هناك شعاع من أشعة الشمس الحمراء يتدحرج ببطء خلف لوح ازرق صافي الزرقة.

موتاً هنيئا   رواية

محمد محي الدين أبوزكو

على الجانب الآخر من الشارع، يجلس الباعة المتجولون بقبعات مخروطية مع بضائعهم، سلال من الفاكهة والخضروات ، وبائعات الشاي وأنواع أخرى من الأشياء التي تباع للماره.

بعض الناس يشربون الشاي بالحليب جالسين على المقاعد المنخفضة مقابل الجدران، وأصوات الدراجات النارية تحتل الهواء.

استحممت ثم استلقيت في السرير وأغلقت عيني، أنا في وضع أفقي الأن، وأشعر بالارتياح، لكن لا نوم يطرق ابوابي بل مرتاح جسديا فقط.

رأسي لا يزال يتموج كالسراب، أفكر في الملكة، ماذا تفعل الآن؟

هل مازالت في الجامعة؟ أم في المنزل تؤدي واجباتها المنزلية؟ أو تدردش على الويب مع أربيعي آخر؟ أو تتناول الآيس كريم مع صديقاتها ، أو تتجول في المدينة لقضاء الوقت؟ هل هي تفكر بي وبلقائنا المرتب؟ هل هي قلقة، قلقة، قلقة ... ؟ أم أنها لا تفكر في شيء على الإطلاق، ولا تنوي الحضور غدا أبدًا؟

ليس لدي رقم هاتفها وعنوانها، كل ما لدي هو اسمها ووجهها وأوهامي عنها، ومكان ما قد أراها فيه غدًا، أتساءل عما إذا كنت أفعل الشيء الصحيح عندما أتيت إلى هنا لأتعرض للتعذيب بكل هذه الشكوك.

موتاً هنيئا   رواية

محمد محي الدين أبوزكو

عندما فتحت عيني، كان الظلام قد حل أخيرا، يجب أن أكون قد تعمق النوم في، و تعمقت فيه.

الساعة تقول ٧:١٥. أستحممت مرة اخرى ثم نزلت إلى الطابق السفلي، موظف الإستقبال يبتسم لي، أه كم أعرف هذه الإبتسامة المتملقة، ابتسم له بدوري و ادفع جسدي الى الخارج.

لا يزال الشارع يعج بالمرور ، وجميع واجهات المحلات مضاءة بالنيون الملون، أجد مطعمًا وأدخله وأجد طاولة في زاوية غير ملاحظه لمن يدخل عبر الباب الزجاجي وأجلس عليها، كم أحب الأماكن غير الملاحظه، تلك المهمشه مثلي، حتى يتسنى لي مراقبة الجميع دون ان يشعروا بوجودي معهم.

المكان مليء بالأحاديث الصاخبة، معظم الناس يشربون المياه الغازيه و الخمر الأجنبية بكثرة، لا يحبون العرقي محلي الصنع، يفضلون الصناعات الاجنبية في كل شيء، حتى ملابسهم الداخليه.

تصطف زجاجات البيرة المستوردة من فرنسا والنرويج على الطاولات، وفي الصناديق على الأرض، طلبت طعاما، رأسي يؤلمني، أصبح فارغًا مثل حياتي، أنا متعب جدا من التفكير الكثير ليتني استطع اخذ اجازه من التفكير مثل هذه الأن.

أجلس وأحدق في الفراغ أمامي ، ضائعًا تمامًا، لقد أصبحت قطعة من الصخر، أشعر بالوحدة الشديدة وسط هذا الحشد، إحساس مميز وقوي كأنني الوحيد في المطعم أو الوحيد في العالم.

استغرق الأمـر مـني وقتًـا طـويلاً لإنهـاء الوجبـة، ثم بعــدها خــرجت وأوقفت ســيارة أجــرة، طلبت من السائق أن يأخذني إلى نادٍ موسيقي.

أريـد موسـيقى حيـة، أخبرتـه أثنـاء الركـوب، حـاول إجراء محادثـة صـغيرة وسـألني إذا كنت أريـد "أشـياء أخرى"، فقلت في حزم و احترام لـه لا، خـذني إلى نادٍ ما لا يهم اسمه حتى لو كان "بلا اسم".

في الداخل، تومض أضـواء المكـان، ويلتقي الشـباب والشابات على الطاولات ضوء شمعة على كل طاولة يمنح الجالســين دفئــا هادئــا، وزجاجــات العــرقي و المريسه في كل مكان.

مغني على المسرح يصـرخ في الميكروفـون، أكمـل طريقي إلى طاولة في زاوية ما، ويبدو أنني الوحيــد بلا رفيق في المكان، الجميع يسامر احد مــا، زوجــة كانت ام عشيقة، او صديق ما.

امرأة تقترب وتطلب مني ما أريد، أريد بيرة و جرعة مزدوجــة من الويســكي و زجاجــة عــرقي و نصــف زجاجة مريسه.

من الذي سيغني الليلة ، سألتها؟

هـدى عـربي، كمـا قـالت. هـدى عـربي هي مغنيـتي المفضلة، لذا فإن الفنان الـذي ينهـق على المسـرح ليس سـوى عمـل افتتـاحي و ترحيـبي. أسـتقريت و تجرعت الكحول. طلبت بيرة بعد الجعة، مريســه بعـد العرقي.

وعندما خرجت هدى عربي على خشبة المسرح و هتف الحشد في جنون، كنت في حالة سكر شديدة.

أرمي المهدئ في حلقي، هذا سيبقيني تحت السيطرة بالرغم من كل الخمر التي شربتها، سأصاب بالجنون وأقوم بأشياء مجنونة، مجنونة بالمعنى الحرفي.

ثم بدأت هدى، في غناء ذلك الصوت الحريري الذي تخرجه من مكان ما داخلها، ربما من مؤخرتها الضخمه فبالتأكيد جمال ذلك الصوت ليس من حلقها او حبالها الصوتية.

أطرتني أغانيها الأولى --- منذ سنوات عديدة، ما زلت أحب هذا الصوت، صوت مدخن شره و مدمن خمر، صوت حبل صوتي تالف، صوت مدمن أفيون يستيقظ في الصباح.

ترقص على خشبة المسرح، تهز كتفيها ووركها، تغني الأغاني التي تجعلها مشهورة، أغانيها المميزة. ومع ذلك، فإن معظم الناس يجمعون رؤوسهم معًا ويتحدثون، وفقط من حين لآخر يلقون نظرة على المسرح.

لكنهم يصفقون في نهاية كل أغنية، تقوم نادلتي برحلات متكررة إلى طاولتي، ويصعب عليها القيام بذلك، حيث لا يوجد متسع كبير بين الطاولات.

بعد ساعتين ولا أعرف مقدار الخمر التي تناولتها، خرجت، وشعرت بأنني على قمة العالم، ومستعد

للمزيد من المغـامرات. لـوحت بيـدي المترنحـه تجـاه سيارة أجرة، كان السـائق أنيقـا بمـا يفـوق سـائقي سـيارات الأجـرة، قميص أبيض كلاسـيكي وبنطـال أسود بالإضافه الى ربطة عنق ونظارة طبية سميكة، سألته هل انت سائق اجرة، اجابني بإبتسـامة مرحـة و إيماءة برأسـه، لديـه عطـر جـذاب، وقصـة شـعره تبدو غريبة نوعا ما، أنـا أعرفهـا جيـدا، تلـك القصـة رائجة بصورة غـير عاديـه هـذه الأيـام، يطلـق عليهـا الشباب (لوطي جن).

سألته ما أسمك؟ فاروق يا سيدي.

نبرة صوته ناعمـة كنعومـة منـديل من حريـر، بـدءت أخاف منه، هذه المدينـة أشـتهرت سـابقا باللوايطـة (الشـــواذ)، ويقـــال أن معظمهم، يبحثـــون عمن يمنحهم الحب في شوارع وطرق معينة، ومن يـــدري ربمـا أنـا ركبت معـه من أحـد هـذه الطـرق، علي أن اتصــرف ســريعا قبــل أن يصــنفني كفريســة، أو كمفـترس، يـا إلآهي إنـه يسـترق النظـر نحـوي الآن عبر المرآة، ويبدو أنه أدرك مدى توتري فقال.

لا تقلق أنا لست منهم.

حتى لا أزيد الأمر حرجا أكثر، قلت مدعيا.

يا لخيبتي أنا جديد في المدينـة، وكنت أريـد عـاهرة، وكما يقال سائقي سيارات الأجـرة هم من يرسـمون خرائط المدن.

فإبتسم وقال. لا مشكلة تأتي اليك في مكانك أم تود ان تذهب الى مكانها؟

قلت لا استطيع الذهاب اليها اريدها ان تأتي الى مكاني.

ركن سيارته في زاوية ضيقة بعد رحلة مدتها 10 دقائق وطلب مني الانتظار، انتظرت وانتظرت، وبعد خمسة عشر دقيقة اخرى، عاد ومعه امرأة تبدو أنها في أواخر العشرينات من عمرها، لديها شعر مستعار على كتفها ووجهها أسمر وشفتين حمراويتين وعيناها كبيرتان وترتدي فستان فضي لامع وطويل.

صعدت إلى المقعد الخلفي وجلست بجواري ثم استدارت نحوي ثم قالت مرحبًا.

اجبت عليها مرحبا.

الجو مظلم في الكابينة، لذا لا يمكنني رؤية هيكلها وملامح وجهها بوضوح. لكنني أشم رائحة عطرها، إنها تتقرب مني و تمرن نفسها لليلتنا الطويله، تقترب اكثر وأشعر الآن بثدييها على كتفي، ناعمة ولطيفة، أضغط على ركبتيها فتسحب فستانها وتأخذ يدي اليمنى و تضعها على فخذها، أشعر بتيار كهربائي يمر عبر جسدي كله، جلدها بارد وناعم، مثل الرخام.

عندما توقفت السيارة عند الضوء الأحمر، نظرت إلى وجهها ووجدت وجهًا يبدو مألوفًا جدًا، أمعقول أنها الملكة الغامضة.

بيضاوية، مستديرة تقريبًا، شفاه سميكة، وعينان كبيرتان نوع العيون التي تراها في المانجا، لكنني

أعلم أنها ليست هي، ملكتي الغامضة لا تقـوم بهـذا النوع من العمل.

الملكة الغامضة هي فتاة بريئة وهي طالبة في كليــة الفنون.

سألتها ما اسمك؟

قالت اسمي حنين.

حمدا لله، كدت ان أجن.

طلبت من فــاروق أن يجــد لي بعض الأقــراص الــتي تمنح النشوه، تماما مثل الحشيش المغشوش، وبعد ان قطعنا عدة طرق و اشارت توقف مرورية، توقـف مرة أخرى، هذه المرة أمـام ملهى ليلي، دخـل عـبر باب يبدو من الخـارج أنـه مهجـور ثم بعـد ربـع سـاعة خرج.

أسقط في يدي المفتوحة أربع أقراص دائرية زرقاء، رميت واحدة في جوفي وأعطيت واحدة لــ "حــنين". لكنها قالت

لا، لا أتناول الأقراص.

من الأفضــل أن تأخــذيها لأنــك بحاجــة إلى البقــاء مستيقظةً طوال الليـل لتمنحيـني الحب والـدفء ، و تمتعينني كما اريد.

أدار فاروق رأسه نحونا وقـال لهـا "خـذيها"أسـتمعت إليه ، وأخذتها ثم وضعتها في فمها و أطبقت عليها.

حينما وصلنا الفندق بدأت السماء تمطر مـرة أخـرى، دفعت لفـاروق ضـعف المبلـغ الموضـح على العـداد

بالإضافة إلى المزيد وترك لي رقم هاتفه إن كنت بحاجة لمزيد من الخدمات، شكرني وتمنى لي ليلة سعيدة.

كزوجين مررنا من أمام المنضدة الأمامية، هذه المرة موظف استقبال جديد أو ربما مناوبه أخرى، هذه المرة امرأة، إمرأة بدينة ترمي كل نصف دقيقة، ملء كفها بعض من حبات الفول السوداني.

في أي غرفة أنت يا سيدي؟ سألتني في لطف مبالغ به.

302، اجبتها، دون توقف.

أثناء صعود السلم ، كانت "حنين" تضع ذراعها في يدي، كما لو كانت بحاجة إلى حماية من وحش كاسر يركض خلفها، عندما بدءنا في خلع ملابسنا، بدءت الأقراص الزرقاء في التأثير.

إستلقت على السرير ثم قالت، أنا أحبك وحدك أنت، حبا عميقا، حب بلا حدود، حبا غير مشروط. و هي تخلع ملابسها ببطء.

لديها زوج جميل جدا من الأثداء، رميت بنفسي جانبها برشاقة على السرير، وأمسكت بها وجسدها يرتجف ولدي شعور بأنها تذوب بين ذراعي بينما أتصلب في نفس الوقت.

نفعلها المر الاولى، ثم نتحدث قليلا، نفعلها مرة ثانية، ونتحدث مرة ثانية، ثم تغني لي اغنية قديمة جدا:

الجلابية بيضا مكويه ***

حبيبي بسحروك ليا ***

و بعدها تغط في نوم عميق، اتنـاول قـرص ازرق ثم الحق بها.

عنـدما أشـرقت الشـمس أرسـلت أشـعة دافئـة من الضـوء السـاطع إلى الغرفـة، قـالت حـنين وهي في حالة ذعر تقريبًا:

أغلق الستارة، أغلق الستارة.

في شـبه ظلام الغرفـة ذاك، غفونـا مـرة اخـرى لكن عاندني النوم.

أستلقيت فقـط وعيـني مغلقـة، وأشـعر بـالتعب في جسـدي، وأسـتمع إلى دقـات السـاعة، والصـوت الإيقاعي اللطيف لمروحة السقف، وضوضاء الشارع في الأسفل.

هي مسـتلقية على جنبهـا الأيسـر في مواجهـتي، وصدرها يرتفع ويهبـط مـع كـل نفس، لـديها ثـديين صـلبين، وشـعرت مـرة أخـرى بالأحاسـيس الجيـدة القديمة عندما كنت برفقة زوجـتي، إنهن يشـعرنني بالنشوة الجنسية في كل مرة أنظر إليهن.

موتاً هنيئا رواية

محمد محي الدين أبوزكو

عنـدما فتحت عيـني مـرة أخـرى نظـرت إلى السـاعة كـانت تشـير الى الثانيـة عشـر ظهـرا، يجب أن أرى الملكة عند الساعة الثالثة.

ضـغطت على كتفي حـنين بلطـف وأيقظتهـا، حـان وقت الذهاب، قلت ذلك بصوت منخفض.

ثم داعبت ثدييها مرة اخرى وانحناء خصرها المنحـوت كأثار فرعونية ثم وجهها، وبسطت ساقيها و تسـللت بيدي داخل سروالها الأحمر الصغير شـعرت برطوبـة، حسنا فعلناها مرة اخرى و استحمينا معا.

دفعت لها بسـخاء عنـدما اصـبحت مسـتعدة للـذهاب، قالت هل تريد رؤيتي مرة أخرى؟

اجبتها. قد أبحث عنك.

عند الباب، قبلتني ثم استدارت وإختفت من المكـان، أغلقت البـاب، سـحبت السـتائر جانبـاً كي تضـيء الغرفة، و تتسلل النسمات المزدحمه في الشارع.

شعرت بالرضا التام عندما فكرت في ليلـتي البارحـة مع حنين، لا اعرف لماذا أرتديت ملابسـي منـذ الآن، نظرت إلى نفسي في المرآة، تسخر مني تجاعيـدي الخبيثة، لكني لا أهتم بها.

لا توجد علامة على الحرمان من النوم، أنـا بخـير. ثم خـرجت عـبر الـدرج وبعـد خطـوتين، تتنحى عاملـة التنظيف جانبًا وتسمح لي بالمرور.

موتاً هنيئا رواية
محمد محي الدين أبوزكو

(٥)

المزاح هو الوسيلة الأقرب لقلبي في التعبير عن محبتي، لأن شخص كتوماً، منعزلاً مثلي، لا يجد راحته مع أي شخص.

الملعقة و الحليب

لدي ساعتين قبل لقائي مع الملكة ربما ساعتين ونصف، ينتابني شعور بغيض حيال الأمر، هل ستتكرر واقعتي القديمة في هذه المدينة، لكن لا لن تكون مزيفة ستكون امرأة حقيقية، كل ما تقوله عن

نفسها سيكون صحيحًا، وكل ما تخيلته عنها سيثبت أنه صحيح أنها تبدو بالضبط كما تبدو في الصور.

شابة طفولية ذات ابتسامة مشرقة دائمة، نعم، بمجرد الحضور إلى مقهى الفردوس، ستؤكد أن حبي لها له ما يبرره، ثم سأتعامل مع التداعيات الأخرى لاحقًا.

أريدها أن تقبلني وتقبل حبي و ترد علي بالمثل. أريد علاقة حقيقية معها، علاقة في الجسد والدم، علاقة بالجسد والروح.

ربما تكون علاقة صديق وصديقته في البداية، ثم تتطور لاحقا إلى الخطوة التالية، ربما الزواج.

أريد أن يحدث هذا لنا معا، لقد تعبت من حياة السكر والإهمال هذه، نستحق بعض الإستقرار، لقد ضخت في قلبي الحياة من جديد، و انزلت المطر على صحراء قلبي العطشه، ولا يمكنها أن تأخذ كل شيء بعد الآن، لا يمكنني السماح لها بالرحيل، بل ليس من العدل أن يتم هجري مرتين بعد ثقة وأمان.

لقد تأخر الوقت جدا الآن، لا أريد أن أفكر في الرفض والفشل، في أي وقت ينبثق هذا الفكر في خلايا دماغي، أقتله.

سأفعل كل ما في وسعي لأجعلها لي، لأجعلها تحبني، لم يعد لدي فرصة للعثور على السعادة، قد تكون هذه فرصتي الأخيرة، أنا رجل مريض في منتصف العمر، ولا أصبح أصغر سنا.

ربما الحياة ليس عادلة بما فيه الكفاية مع الجميع، هناك من ينجح منذ أول محاولة، و هناك من يظل الفشل ملازما له رغم مئات المحاولات، لكن القدر عادل بما يكفي ليمنح من فشلوا فرصة حقيقية للنجاح، ولست ادري ربما الملكة الغامضة فرصتي الحقيقية.

كان فاروق قريبا من الفندق حيث لم تمضي على مكالمتي له عشر دقائق حتى كان أمامي، صعدت وأظهرت له عنوان المقهى، وكما قلت سابقا، سائقي الأجرة هم الخرائط التي تمشي على قدميها.

هذه المرة كان يرتدي، زي مزركش بالألوان عبارة جلباب يصل طوله إلى الركبة وسروال، هو لا يشبه الزي التقليدي للنيجيريين، لأنه ببساطه هو الزي التقليدي للنيجيريين، وفي السودان هو زي قبيلة الهوسا، والتي هي في الأساس تعتبر الجالية النيجيرية في السودان.

وصلنا المكان إنه مقهى داخل حديقة، على بعد مسافة جيدة من الشارع الذي يقف عليه فندقي، لذلك لا يوجد الكثير من ضوضاء المرور.

أخبرت الملكة أنني سأجلس في مكاني المفضل، لذلك علي أن أجد طاولة في احدى الزوايا، توضع حواجز عملاقة هنا وهناك بين الطاولات على سطح من القرميد الأحمر.

موتا ً هنيئا رواية
محمد محي الدين أبوزكو

رجل واحد يجلس وحيدًا ليس بعيدًا عـني، يقـرأ كتابًـا يبدو عنوانـه واضـحا من مسـافة بعيـدة (كيـف تسـعد عشـيقتك) ربمـا هـذا الكهـل أيضـا سـيلتقي بملكتـه اليوم.

يوجد زوجان على الطرف الآخـر من المقهى نظـرت إلى الأعلى زرقة السماء الصافية لكن هذا قـد يتغـير في أي وقت من اليوم، قد تتدحرج السحب المظلمة بسرعة وبكثافة وسوف يتساقط المطر.

أتى النادل وسألني عما أريد؟

عرقي، قلت بهدوء.

يعـود ومعـه زجاجـة كبـيرة ويصـب منهـا في كـوب زجاجي اسطواني شفاف، يبدو شهيا.

استمعت الى الموسيقى المتسربة من جهاز ما داخل المقهى، خمس عشرة دقيقة حـتى تظهـر حبيبـتي، أمرر يدي من خلال شعري، لـدي القليـل من الشـعر الرمادي، في الحقيقة هو ابيض و يظهر على لحيـتي أيضًا.

أنا أرتدي قميصًا أبيض وبنطـال جيـنز رمـادي اللـون، النظارات دائما على أنفي، وجريدة مطوية في يـدي اليسرى.

إنتهي كوب العرقي وطلبت بيرة هـذه المـرة – بينمـا ملكتي تمشي إلى طاولتي هادئة مثـل القطـة، إنهـا ترتدي قميصًا أحمر وبنطلون جينز أسـود كمـا قـالت إنها ستفعل.

جلست أمامي مبتسمة.

مرحبًا، قالت بصوت نـاعم يشـبه صـوت هـدى عـربي حين تغني.

مرحبا. أجبتها.

تنهـار فجـأة جميـع الأشـياء داخلي ومن حـولي. أنـا لست في هذا العـالم بعـد الآن، انـا اطـير بلا اجنحـه وكدت الان الوصول الى السماء السابعة.

كـل شـيء امـام بصـري صـامت، الأرض تختفي من تحتي، الشمس تخبئ نفسها خلف السحاب او خلــف السماء لا أعرف، كل ما أراه هو وجهها المبتسم هـو الشيء الحقيقي الوحيد - كل شيء آخر يصبح سراب او بخار ويمضي نحو التلاشي.

لا أستطيع أن أنطق كلمـة أخـرى، هـذه هي ال 100 في المائة كما تخيلت، يغمرني شـعور الحب الـدافئ اللامحدود.

شدة العاطفة هي أكثر بكثير مما يسـمى بـالحب من النظـــرة الأولى، الآن يتم الـــرد على كـــل تخيلاتي وتوقعاتي، الصمت الـذي بيننـا الان اتمـنى ان يـدوم إلى الأبد.

ثم أسمعها تقول مرحبا مرة أخرى. صوتها الخفيف ينهال كموسيقى، وعيناها كبيرتان لؤلؤيتان، سوداويتان اللون وتشرقان كالزمرد، وابتسامتها أجمل شيء رأيته في حياتي، يتدلى شعرها حتى الكتفين وعنقها عالي وبشرتها ذو لون قمحي مثالي.

وضعت يديها على الطاولة وأنا أنظر إليهما، عشرة أصابع طويلة نحيلة - تحفة أخرى من روائع الطبيعة، هي لا تضع المكياج، أشم رائحة لحم عذراء، رائحة أكثر جاذبية من أي عطر ، وتثيرك .... مثل ذكر حيوان في موسم الشبق، الصمت يستمر لبضع ثوان أو إلى الأبد، لست متأكدا من ذلك.

قالت كيف حالك؟

- جميل أن ألتقي بك.

- لقد قطعت هذه المسافة لرؤيتي، اقدر لك هذا الامر.

- أنا سعيد لأننا التقينا أخيرًا.

- أنا سعيدة ايضا لأني ألتقيت بك أيضا.

- ماذا تفضلين أن تشربي؟

- قهوة بالحليب.

جاء النادل فطلبت منه قهوة بالحليب ثم اختفى سريعا.

قلبي لا يزال ينبض بقوة ويصعب علي الحديث، فجأة شعرت بالجفاف في حلقي. هي تنظر إلي بعيون متسائلة.

تتلاشى الابتسامة على وجهها بهدوء، لكن النظرة في عينيها تزداد حدة، هذا هو الفضول الذي اكتشفته فيها أثناء مراسلتنا، هي تدرسني.

بالنسبة لي، لست بحاجة إلى دراستها. أعرف بالفعل ما أحتاج إلى معرفته، أنا مغرم بها الآن أكثر من أي وقت مضى. من قبل كان الشعور غامضًا، لكنه الآن واقعا ملموس، وهو شيء يمكنني أن أشعر به من كل حواسي، تماما كتدفق الدم في أوردتي.

قالت لي

- أنت تبدو بالضبط كما في الصور.

- ليس لديك محاضرات اليوم؟ سألتها

- أخذت إجازة بعد الظهر، ي الحقيقة بلا كذب غبت عمدا.

- فقط لتريني؟ أعتقد أن صوتي يرتجف.

- لما لا. لقد كنت متلهفة لرؤيتك.

- الآن نحن هنا معًا.

- نعم.

- كيف تجري الامور معك في الدراسة؟

- بخير.

- كيف حال عائلتك؟

- بخير.

- متى وصلت الى المدينة؟ سألتني.

- بعد ظهر أمس.

واكملت حديثي، أنت تبدين أصغر مما تبدين عليه في الصور.

قد لا يقول الناس إنها تبلغ من العمر 20 عامًا، لكنها أقرب إلى 16 أو 18 عامًا. عاد النادل ومعه القهوة التي طلبتها حبيبتي.

وطلبت منه أن يحضر لي أي خمر أجنبية، هي تعلم انني مدمن شرب لذا الامور بخير، واعتقد إن على الانسان ان يظهر بكل طبيعته أمام من يحب كي يكون القبول مرضيا، وفي الغالب كل العلاقات التي تفشل بعد الإرتباط يكون السبب الرئيسي هو ظهور أحد الأطراف على حقيقته كاملة، بخصاله السيئة والحميدة، ولا أرغب في أي مخاطرة لاحقا.

تلتقط الملعقة الصغيرة وتحرك القهوة وتضعها في فمها وتلعق الحليب الذي يطفو بالأعلى. شفتاها زهريتان اللون، حمراء تقريبًا. تعود الابتسامة - هل لأن اللبن حلو جدًا؟

- هل هذه هي المرة الأولى التي تكون فيها في هذه المدينة؟ سألتني وهي تضع الملعقة جانبا.

- لا ، لقد كنت هنا من قبل.

- حقا متى؟

قبل بضع سنوات ... جئت لمقابلة صديق وتعذر عليـه القدوم لمقابلتي.

- أوه.

- أين تقيم في المدينة الأن؟.

- ليست بعيدا من هنا. حوالي 20 دقيقة بالسيارة.

هل تلك الدراجة الحمراء لك؟

- نعم .... و .... كما تعلم .... ثم بدءت في الحديث.

وأنا أنصت اليها ي إهتمام شديد.

- تبدو بالضبط كما في الصور ، أقصد ملامح وجهك.

- حسنا.

- لكن أكبر سنًا، وأضافت ذلك.

لقد توقعت هـذا التعليـق، لـذلك أنـا لسـت مندهشـا، ولا أعتقد أن الأمر مهم كثيرًا الآن.

- ربما تقصدين أكبر سنًا بكثير؟.

- اعتقدت أنك تبلغ من العمر 32 عامًا.

- هذا ما قلته لك.

- وهل أنت بالفعل 32؟

- لا أيتها الغامضه، أنا لست 32. عمري الحقيقي هـو 47، وبعد أربعة أشهر سوف اكمل 48.

عاد النادل ببيرة أخرى، يقول أن الخمر الأجنبي الوحيد المتوفر الآن لديهم هي البيرة، لا يهم.

لكني قد فعلت ذلك، وإعترفت بعمري الحقيقي، وشعرت حينها كما لو أن صخرة عملاقة قد وقعت على صدري. صمتت كصمت الطاولة التي نجلس عليها الآن.

ما الذي يدور في رأسها يا ترى؟ يجب أن تكون في حالة صدمة، تنظر إلى القهوة وتدير الملعقة على الطاولة ببطء.

أنا في انتظار ردها، في انتظار رد فعلها، لكنها تأخذ الدهر كله لترد.

رميت عيني لأسفل، والتقطت كأس الخمر و سكبتها في حلقيو اختفت الابتسامة تمامًا من شفتاها وأصبح وجهها أحمرًا ببطء.

فجأة ، زأرت السماء وأختفى ضوء الشمس سريعا كأنه لا ينوي سماع ردها، لكن أنا أنوي ذلك بل احتاج لسماعه. أسرع النادل إلى طاولتنا ورفع المظلة الكبيرة، وبمجرد أن فعل ذلك، هطل المطر، حتى المطر لم يبللني كأنه علم الرد مسبقا واختار أن لا يختلط الأمر عليها بين دموعي وقطراته.

حسنًا، ايتها الملكة ... قلت ذلك محاولة مني لإيقاظها من الصدمة.

ما زالت لا تقـول شـيئًا، لكنهـا تواصـل إبقـاء عينيهـا متدليتين وشاخصتين في كوب القهوة التي لم تنهيه بعد.

- أنا آسف لأنني كذبت عليك .... اردفت .

نظرت إلي، وقرأت الإجابة في عينيها.

- أنت تكاد تبلغ من العمر مثل والدي.

- أنا آسف على خيبة أملك.

- كنت على استعداد لأخذ صداقتنا خطـوة أخـرى إلى الأمام ، ولكن الآن ....

- هل أنا كبير جدا بالنسبة لك؟ سألتها.

- نعم أنت على حق تبدو أكبر بكثير ممـا في الصـور. اعتقـدت أن لـدي بعض المشـاعر الخاصـة تجاهـك، وكنت على استعداد لأن أكون أكثر من مجـرد صـديق لـك بمجـرد رؤيتـك لأنـك قطعت هـذه المسـافة لرؤيتي ... كنت متحمسه ... ولكن الآن .... لا أعـرف ماذا أقول.

لا أعـرف مـاذا أقـول أيضًـا لقـد تـوقعت مثـل هـذه النتيجـة، ولا يمكنـني دحض حقيقـة أن حـبي لهـذه المرأة أصبح أقوى مليون مرة الآن من ذي قبل، ولن أسمح لرفضها أن يقضي على هذا الشعور.

لقد كنت أنتظر 100 عام لهذا الاحسـاس، كنت أرغب في أن يحدث لي هـذا الشـعور، هـذا الشـعور بـالحب القوي.

بسحرها وشبابها وجمالها أمطرت على صحراء قلبي مائة خريفا. الآن أريدها أكثر، أزداد عطشا، أحتاجهـا ويجب أن أحصل عليها، ولا أهتم ما إذا كـانت تحبـني أم لا. أريدها وبئس مشاعرها تجاهي.

- الأمـر مـتروك لـك يـا م (اختصـرت كلمـة ملكـة في الحــرف الاول لان الاســم ثقيــل جــدا حين اتحــدث معهـا)، لكن يمكنـك أن تفهمي لمـاذا لم أكن صـريحًا معك ، كما أنا الآن.

ما تزال صامته، كل مـا أسـمعه هـو المطـر وصـوتي أكملت:

- كنت بمفــردي لفــترة طويلــة وكنت أخــاف من أي علاقة جديدة، في البداية اعتقدت أنهـا كـانت مجـرد لعبة بيننا، شيء للترفيه عن أنفسنا، ولكن مع مــرور الــوقت .... جعلتــني أشــعر ... لقــد جعلتــني أشــعر بالحب .... أردت ... لهذا السبب أردت رؤيتك شخصيًا على الرغم من علمي أنك قد تصابين بخيبة أمل.

لوحت للنادل لتناول زجاجة عرقي هذه المرة، أشعر باللهــة الشــديدة للســكر الآن، جميــع شــعر جســدي إنتصب.

توقفت أول موجة مطر، سوف يأتي انفجار آخر في أي لحظــة. لا تــزال "م" صــامتة وهي تنظــر إليّ في ألم. أستطيع أن أرى أثر الحزن في عينيها.

- كنت أشعر بنفس الشعور تجاهك ، قالت ذلك.

- و الأن؟

- لا أدري، لا أعـرف. أنـا غـير متاكـدة، لكن مـا أنـا متأكدة منه هو أنك كبير في السن بالنسبة لي.

اثنـــان وثلاثـــون ، يمكنـــني القبـــول. لكن ســـبعة وأربعين .... انــا اســفه. لكنــني أعجبت بــك كثــيرًا وأعتقد أنني ما زلت أحب ذلك.

- أتفهم ذلك.

- ربما لا يزال بإمكاننا أن نكون أصـدقاء، قـالت ذلـك بحماس وعادت فجأة مشرقة ومبتسمة وساحرة.

نستطيع ان نبقى اصدقاء؟ ماذا يعني ذلك؟

هل يعـني ذلـك أننـا سـنعود إلى الفضـاء الإلكـتروني ونتبادل رسائل عبر مواقع التواصل دون رؤية بعضـنا البعض مرة أخرى؟

الرسائل والكلمات خلف الشاشات المضيئة التي قـد تصبح بلا طعم ولا معنى لها ولم تعد ممتعة بعد الآن.

لا، هذا لن ينجح. ربما يمكننا ترك الأمر ونسيان الأمر برمته. في ومضة مـا، فكـرت في فقـدانها إلى الأبـد خطر الامر ببالي وهو يحزنني جدا، لكن فراقا مؤلما أخف وطأة من وصال بلا معنى.

- تعــنين أننــا ســنعود إلى كتابــة الرســائل فقــط؟ سألتها.

- نعم يمكننا أن نفعل ذلك.

لكنني على يقين من أنها ستتوقف عن الكتابة بعد وقت قصير للغاية وسيتم نسيان كل شيء كما لو أننا لم نلتق قط.

- حسنا أنا في المدينة لمدة أسبوع. هل استطيع ان اراك غدا؟ سألتها بينما قلبي يذبح إلى مليون قطعة كبهيمة الأضحية.

- انها ليست فكرة جيدة.

- إذا هنا النهاية. أنا سعيد لأنني إلتقيت بك.

أقف وهي أيضا تقف.

دعيني أوصلك إلى دراجتك ، طلبت منها ذلك.

تبتسم كالقاتل اللطيف وتومئ برأسها.

دفعت الفاتورة وسرت بجانبها. شعرها يتطاير في نسيم الظهيرة اللطيف من بعد توقف المطر، وتتأرجح مؤخرتها بتكتم بينما تسير في خطوات قصيرة إلى دراجتها.

حسنا وداعا، قلت ذلك، وكأنني أطلق رصاصة على رأسي.

بمجرد خروجها من ساحة انتظار السيارات وفي طريقها، أسرعت إلى الزاوية وركبت رفقة سائق

دراجـةناريـة وطلبت منـه أن يتبعهـا، طبعـا مقابـل المال.

اتبع تلـك الفتـاة بـالقميص الأحمـر، قلت ذلـك بينمـا كنت أشـير بإصـبعي في اتجاههـا، وأردفت، حافـظ على بعض المسافة.

لم تلاحـظ أبـدًا أنـه يتم ملاحقتهـا، الطريـق مـزدحم بالدراجات الناريـة وأصـوات المحركـات تصـم الآذان، ونحن مجـرد دراجـتين في غابـة من الـدراجات. ومن الخلف، شعرها يتطاير مع هبوب الرياح كـرقص نـدى القلعة في حفل جماهيري تحييه في تشاد.

هنا في هذه الحظة، وفي هذه المدينة، هناك الآلاف من الـــدراجات وآلاف الوجـــوه في كـــل مبـــنى في المدينة، أنت هناك لكنك لست هناك، إنها خلية نحل بشرية عملاقة.

بعد عدة طرقات توقفت أمام منزل مسور في زقاق ثم فتحت البوابة ودخلت. إنه منزل من ثلاثة طوابـق، سـجلت رقم المـنزل واسـم الزقـاق واسـم الشـارع الـذي ينتمي إليـه الزقـاق، ثم أخـبرت السـائق أن يأخذني إلى فندقي.

عنـدما عـدت إلى الفنـدق كـان الظلام قـد توقـف، وتوقف المطر أيضا، أرتـديت ملابس جافـة بـدلا من تلـك الرطبـه الـتي كنت أرتـديها، وأسـتلقيت على السرير ثم فتحت التلفاز .

النبأ السار لليوم هو حريق كبير في وسط المدينة دمر متجرًا كبيرًا، ثم تأتي الأخبار الاقتصادية، ثم الأخبار العالمية.

اتصلت بمكتب الاستقبال وأجابت امرأة وطلبت منها ارسال بعض البيرة و المريسه اللذيذة.

بعد عشر دقائق، وقفت امرأة على باب غرفتي ومعها دلو يحتوي على ثلج وبعض الزجاجات بها سبعة زجاجة تنام عليها قطرات صغيرة رطبة.

شكرتها وأعطيتها بقشيشًا، ثم انها لم تذهب بعد.

سألتها ما الذي تريده فسألتني إذا كنت أريد رفقة الليل.

أنت؟ سألتها. لا، شخص آخر.

قلت سأتصل بك لاحقًا. أومأت برأسها وابتعدت.

أستلقيت على السرير أفكر. ما الذي أفكر فيه؟ أفكر في كيفية رؤية م مرة أخرى.

أريد أن أراها مرة أخرى قبل أن أغادر المدينة. أو مرتين أخريين، أو حتى ثلاث مرات أخرى. أريدها بأي طريقة كانت.

يجب أن أفكر في طريقة لجعلها بالقرب مني و معي. المريسة تجعلني أفكر بجد وغضب.

هل يجب أن أتنكر وأخيم أمام منزلها وأتبعها إلى المدرسة والتخييم هناك أيضًا، ثم أتبعها إإلى منزلها في المساء وأخيم هناك طوال الليل وأن أفعل الشيء نفسه في اليوم التالي واليوم التالي؟ لا

تعجبني هذه الفكرة، لأنه لا يزال هناك مسـافة بيننـا ولا يمكنني حتى التحدث معها.

إنهـا تؤلمـني بشـدة برفضـها الصـريح لي، أكـره صـراحتها هـذه، لا أعـرف كيـف يكـون بعض البشـر صريحين لحد القسوة هكذا.

على الرغم من أنني أعلم أنه ليس لديها خيار سـوى الـرفض. لقـد أصـيبت بخيبـة أمـل كبـيرة وأنـا أفهم السبب، لكن مع ذلك، من الصـعب قبـول ذلـك، هي لم تخدعني أبـدا بـل انـا الـذي خـدعتها، أعتقـد أنهـا تأذت أيضًا.

يجب أن تكون هناك طريقة لنكون بالقرب من بعضنا البعض، ثم ظهرت فكرة ما في رأسي.

ربما يمكننا الذهاب إلى شارع النيـل معًـا، لكن كيـف يمكنني توصيل الطلب إليها، كيـف يمكنـني الـترتيب لذلك؟ ستقول لا بالتأكيد. يجب أن أجد طريقة.

ثم تـوقفت عن التفكـير وبعـد إنتهـاء زجاجـة البـيرة الثانيـة و كـل زجاجـات المريسـة الثلاث، اتصـلت بمكتب الاستقبال. نفس المرأة أجـابت على الهـاتف فلت لها إنني أريد بعض الصحبة في الليل.

بعد خمسة عشر دقيقة بالضـبط، دخلت امـرأة شـابة إلى غرفـتي، يـا لسـرعتها كأنهـا كـانت تقـف أمـام غرفتي.

هل انت بخير؟ سألتها.

أنا جيدة جدًا، سترى لن تضيع أموالك علي، قالتها بابتسامة مشرقة مثل القمر. في تلك الليلة فعلتها بكل قوتي وكل ما أفكر فيه هي م.

(٦)

قد يسمي الناس الإهتمام هو سرعة الرد على الرسائل، لكني أراه في لغة المزاح الكثيرة.

القناة السوداء

أتى الصباح ويبدو وكأنه يوما جميل، الرياح الموسمية أخذت استراحة محارب، أرسلت الفتاة النائمة بجواري طوال الليلة الماضية الى المكان الذي جاءت منه بعد ان أجزلت لها العطاء مع قبلة كبيرة.

لقد أخبرني فاروق سائق التاكسي عن جزء خلفي من المدينة او الجزء الشعبي حيث يعيش اللصوص والمجرمون وكذلك الفقراء، ديما كان يسمى الثورة موفي، ولكن تم تغيير أسمه.

قررت أنني سوف أدخل ذلك الجزء من المدينة وأجند مجموعة من الذئاب الشرسة، لدي خطة وأحتاج إلى المساعدة منهم.

المال ليس عائقا أمامي، أنـا على اسـتعداد للإنفـاق حتى آخر أموالي لتنفيذ هذه الخطة، يتطلب حــبي لـ م أن أفعل هذا وأتمـنى أن تنجح الخطـة وتسـامحني بعد أن تتفهم موقفي.

بالتاكيد سـتفهم لمـاذا أفعـل هـذا، لأن قلـبي الـذي ينزف سينضب الدم منه قريبا وسوف أمـوت بـدونها، أريدها فقط أن تكـون بـالقرب مـني لفـترة قصـيرة، بضعة أيام فقط. ثم سـأكون سـعيدا أن أقـول وداعـا لها وللعالم إلى الأبد.

أنا حتى على استعداد للموت بعـد بضـعة أيـام معهـا، لكن لا يمكنني فعل ذلك بمفردي، احتاج لمن يحــزن على وفاتي، إن الأكثر إيلامـا من حيـاة تنتظـر فيهـا موتــك وحيــدا، هــو المــوت وليس لــديك من يؤلمــه فراقــك، لــذا أحتــاج إلى أذرع قويــة للمســاعدة في إحضارها إلي.

المنطقة الشعبية التي سأذهب إليها تم تغيير اسمها إلى "القنـاة السـوداء" حيث يخشـى رجـال الشـرطة دخولها إلا عندما يأتون في فرق.

والآن سوف يدخل رجل وحيد ، يبدو كعالم ،أو أســتاذ جامعي، ضل طريقه، تعذر على فاروق الحضـور، او لم ينوي الحضور أساسا لا يهم، وجدت سائق دراجــة أوصــلني، وعنــدما أنزلــني في المكــان، نظــر إلي بنظرة غريبة في عينيه، وكأنه يقـول، مـا هـو العمـل الذي يتوجب عليك أن تدخل له بطن الوحش هذا ؟

موتاً هنيئا رواية
محمد محي الدين أبوزكو

الحي عبـارة عن امتـداد ميـل من الأكـواخ والهياكـل المخصصة من جميع الأحجام والأشـكال مصـنوعة من الكرتون و فروع الأشجار والأكياس البلاستيكية الـتي أكلتها الشمس، إلى جانب قناة المياه السوداء.

المياه سوداء، أو شـبه سـوداء لأن مجـاري المدينـة و المصانع تفرغ نفاياتها هنا، ويتلـوث الهـواء من لحم فاسد ومـواد كيماويـة فاسـدة، بإختصـار كـل شـيء فاسد هنا. مشـيت على طـوال ضـفة القنـاة، الجـو مشمس والهواء يزداد سـخونة مـع تقـدم اليـوم كـأن المطر يخاف الهطول هنا. وبعد مسيرة قصيرة بـدأت أتعرق، وجدت مقهى تحت شجرة كبيرة، ولم أجد أي ظل إلا بعد نصف ميل سـيرًا على الأقـدام دخلت، ثم جلست.

تفحصت المكـان جيـدا، لا يوجـد أحـد سـواي وامـرأة عجوز خلـف المنضـدة، إنهـا تنظـر إلي وبين الفينـة والأخرى أنا أنظر إليها، ثم تحركت ببطء للخـارج من خلف المنضـدة إلى حيث أجلس وسـألتني عمـا أريـد، بصوت كثيف مثل ميـاه القنـاة، وليس لـديها أسـنان وهي قديمة قدم الشجرة التي تعيش تحتها.

قلت لها المريسه، لا، لا العرقي، اريد العرقي.

فقالت، لدي عرقي لكنه ليس بارد.

يمكنني استخدام الثلج.

لا يوجد ثلج أيضًا. حسنًا، عرقي ساخن، إذن.

موتاً هنيئا رواية
محمد محي الدين أبوزكو

رميت نظراتي على الطريق الترابي المضاء بنور الشمس خارج المتجر وأشرب العرقي قبيح المذاق ببطء. الطعم مرير كالحنظل، لكن لا بأس لأن كل ما أريده هو شيء يقوي قلبي.

هرول كلب نحيف ولسانه معلق أمامي. تسآءلت لماذا لا يزال هذا الكلب موجودًا، كان يجب أن يكون متعفنا ومرميا جانب القناة منذ فترة طويلة. ما المعجزة التي تحميه؟ هل هو شبح؟

أنا لدي فكرة جيدة عن سبب وجودي في هذا المكان. أنا هنا لتجميع فريق من المجرمين الذين سيساعدونني في اختطاف م ، وهو هدفي ورغبتي.

رجل في منتصف العمر لديه بطن بارزة مليئة بالعرقي والمريسة وكثير من البيرة المستوردة مثلي لا يمكنه فعل ذلك بمفرده.

أتحرك ببطء، مثل السلحفاة، أو ربما أسرع قليلاً من السلحفاة. أنا غير لائق. و بحاجة الى مساعدة. إختفت السيدة العجوز في الجزء الخلفي من المنزل. عندما أنتهيت من تناول العرقي عادت المرأة كما لو كانت تراقبني وأشرت إليها لتناول زجاجة عرقي أخرى، لا احسب ان هذه المنطقة قد تتوفر فيها البيرة غالية الثمن، ولا حتى البيرة المغشوشة، حتى هذا العرقي الذي اتناوله رغم انه مصنوع محليا الا انه ايضا مغشوش، اشعر بذلك، فهو ليس مرا مثل العرقي غير المغشوش وايضا

رائحته ضعيفة، يا لهم من بؤساء، لا يستطيعون تحمل تكلفة صنع الخمر حتى، او ربما هذا من جشعهم، يا لجهلهم، اوقن يوما بعد يوم ان الفقر والجهل لا يخرج الا المجرمين و اللصوص الجشعين.

دخل رجلان وامرأة المتجر وجلسوا على طاولة بجواري. تسآءلت لماذا اختاروا الطاولة بجانب طاولتي.

يمكن لهم أن يجلسوا هناك على بعد ثلاث طاولات. ربما سيفعلون شيئًا بي – ربما يسرقونني؟ أحدهم رجل طويل ونحيف بشعر طويل يصل إلى الكتفين يرتدي قميصًا أسود بلا أكمام ويكشف عن وشوم مثل النسور على ذراعه. الرجل الآخر هو مهرج قصير وشحم، تسكنه الدهون مع جلد داكن مثل ماء القناة ، ويتعرق مثل الخنزير الوسخ.

المرأة التي برفقتهما لها وجه مستدير ومسطح مثل الفلاحة - نوع الوجه الذي يعجبني - وبشرتها سمراء تميل الى الاسمر الفاتح وهي ترسم شفتيها باللون الأحمر. نظروا إلي.

لم تأتي المرأة العجوز لتسألهم عما يريدون شربه. هي تسمح لهم بالجلوس وهم يجلسون فقط.

ثم وقف الرجل السمين وأتي إلى طاولتي، أسند نفسه على الكرسي ونظر إلي بنظرة تقول إنني سأقتلك.

مرحبا، توددت إليه.

فيجيب، مرحبا، هل يمكنني مساعدتك؟

هل بإمكانك مساعدتي؟ هل أبدو وكأنني بحاجة للمساعدة؟ أنا أجلس هنا فقط أستمتع بشرب الجعة في يوم حار ومن أنت الذي تقترب مني بطريقة مهددة هكذا وتسألني إذا كنت أريد المساعدة؟

هكذا أجبت عليه سرا، لكن علانية لم أرد عليه، أستمريت في شرب العرقي.

أيمكنني مساعدتك؟ سألني مرة أخرى.

فأجبت عليه، ربما تستطيع.

هل تريد تلك الفتاة هناك؟ وأكمل، يمكنها أن تمتصك حتى تجف مقابل 20 جنيها فقط او دولارين.

المرأة نظرت نحوي وابتسمت. قد يكون الرجل على حق، لديها فم مغر للغاية. لا شكرًا.

لقد شعرت بالامتصاص بما فيه الكفاية الليلة الماضية ولم يتبقى مني شيئا.

ربما تريد فقط أن تمص قضيبك؟ قال ذلك بلا حياء.

يبدو أن الرجل يائسًا لتحقيق ربح ما. هو، أو هم، كان بإمكانهم أن يسرقوني هناك او يقتلوني ويرمون جسدي في القناة.

لا ليس هذا أيضا، أجبت ليه.

إذن ما الذي تريده بحق الجحيم؟ أنت لا تنتمي إلى هذا المكان.

من أين أنت؟ أتيت إلى هنا من أجـل شـيء مـا أليس كذلك، أتيت لأجل حشيش؟

أتي الرجل النحيف طويـل القامـة ليسـتمع. فهـدءت من حدته و قلت له:

سأخبرك بما أريد، لكن هـل تريـد بعض العـرقي أولاً؟ لوحت للمرأة العجـوز وطلبت ثلاثـة زجاجـات عـرقي لهم. و ظلت العـــاهرة على طاولتهـــا وتنظـــر إلى الطريق كأن لم تكن موجودة.

أين هـو زعيمكم؟ سـألت الرجـل السـمين، نظـر إلى الرجـل النحيـل الـذي بـدوره نظـر إلي بعين يملئهـا التفاخر وابتسم.

- انظروا، لدي مشروع وأريد مساعدتكم لتنفيذه.

- ما نوع المشروع؟ ولماذا تعتقـد أنـه يمكننـا القيـام بشيء من أجلك؟ سـألني الرجـل النحيـل، ولم تـترك الابتسامة وجهه.

- سـأقول بصـراحة ولا تـنزعجوا من صـراحتي، أنتم مجرمين أليس كـذلك؟ أنتم رجـال ليس لـديهم عمـل منتظم أو دخـــل منتظم، وأنتم تســـرقون وتبـــتزون وتتاجرون بالمخدرات والقوادة وتضـربون النـاس من أجل لقمة العيش، أليس كذلك؟

- أمم ....

- صحيح أليس كذلك؟ أصريت على سماع الإجابة.

- صحيح.

- هذا هو سبب وجودي هنا لدي عمل لكم، عمل يجب القيام به، وأنا متأكد من أنكم يمكنكم مساعدتي في القيام بذلك لأنني لا أستطيع القيام بذلك بمفردي.

- أي عمل؟ سألني الرجل النحيل، الآن لدي كامل انتباهه.

الرجل السمين يستمع بأذنيه في وضع الاستيعاب الكامل. لا تزال العاهرة تجلس على الطاولة وتحدق في الفضاء خارج المتجر الذي يصبح أكثر إشراقًا وإشراقًا مع تحرك الشمس عبر السماء. صرخت للمرأة العجوز لتجلب لنا المزيد من العرقي، وهي قد سحبت صندوق مليء بالزجاجات وتتركه عند أقدامنا.

- اسمع، أريد ثلاثة رجال.

- بقدر ما تريد، اثنى الرجل النحيل.

- أريدك أن تختطف أحداً من أجلي.

صمت الرجل النحيف لبضع دقائق ثم قال:

- سنفعلها. تابع، لكن أخبرنا بالسبب ولا تكذب وإلا قد نختلف لاحقا.

- إنها ... إنها امرأة أنا مجنون بها، لكنها لا تريدني.

- ها؟

- هذا صحيح. أنت هل سبق لك أن وقعت في حب شخص ما وتم رفضك وهل تعرف مدى تأثير ذلك على قلبك؟

- بالطبع أنا أعلم. لقد كنت مجنون بشأن تلك المرأة هناك منذ سنوات عديدة - الرجل النحيل قال ذلك وأشار إلى العاهرة - لكنني الآن لا أشعر بأي شيء تجاهها بعد الآن.

- لأنك تملكها، ولكن ما يؤذينا حقا هو، أننا نتعلق بالأشخاص الذين لا نستطيع الحصول عليهم، حالما نحصل عليهم يتبخر ذاك التعلق.

- صحيح.

- لذا فأنت لا تعرف كم هو مؤلم ألا يكون معك من تحب.

- لا، لا اعرف.

- لكني أعرف ذلك، وأعيشه الآن، وأنا أتألم بشدة بسبب ذلك.

- آسف بشأن ذلك.

- لا تشعر بالأسف من أجلي. افعـل شـيئًا يزيـل هـذا الألم من قلبي.

- ماذا تريد منا أن نفعل؟

- أريدك أن تخطف تلك المـرأة وتحضـرها إلى فنـدق سأخبرك عنوانه لاحقا. هذا كل شئ.

- هذا يبدو بسيطا بما فيه الكفاية. لكننـا لم نختطـف أحدا من قبل.

- وبالتالي؟ الآن هي فرصتك للمحاولة.

- حسنا سأحاول.

- كم تريد للعملية؟ بـالطبع سـأدفع جميـع النفقـات. أدوات ، نقل ، إلخ .....

- انظر، يا رجل، لم نقم بالخطف قط، لذا ليس لـدينا معدل نقيس به ما سنأخذه منـك. لكننـا قتلنـا، ونحن نتقاضى 1000 جنيه لقتل شخص ما.

- سأدفع لك ضعف هذا المبلغ.

- هل تخدعني ، ها؟

ألقى الرجل نظرة صارمة. ثم أمسك الرجل السـمين ذراع رئيسه، كما لو كان ليثبت نفسه.

قلت، لا خداع بيننا. ألفان للعمـل بأكملـه، وسـأدفع نصـف ذلـك اليـوم، والبـاقي ستحصـل عليـه عنـدما تنتهي العمليه، وهذا يعني حينما تكون حبيبتي معي.

- يبدو ذلك جيدا. متى سوف نستلم المقدم؟

- الساعة السابعة في هذا المكان. سأكون هنا بالمال.

- إتفقنا.

- أحضر الرجال الذين سيقومون بالمهمة ، وسأعطيك تعليمات مفصلة حول ما أريد القيام به.

- من الأفضل عدم الكذب وإلا سأجدك وأقطع قضيبك اللعين.

لا خداع كما قلت.

غادرت القناة وذهبت إلى المقهى حيث التقيت أنا و م لأول مرة ثم جلست على نفس الطاولة وبدوت مذهولًا على الكرسي الذي جلست عليه.

أستطيع أن أرى وجهها الآن امامي، إبتسامتها المرحة الجميلة، وقميصها الأحمر والثدي الصغير تحته، وأصابعها النحيلة، وشفتيها الورديتين اللتين امتصتا ملعقة الآيس كريم.

أرى مرة أخرى التعبير على وجهها عندما علمت عمري الحقيقي، وأشعر بالألم من جديد، لما كنت صريحا معها؟ ليتني كذبت، أحيانا تكون الحقيقة سما يقتلنا ببطء.

شربت البيرة بعد البيرة بعد البيرة، وكلما شربت أكثر، أصبحت صورتها أكثر وضوحًا في ذهني. يا إلهي أنا أهلوس بها .

بعـــد لا أعـــرف كم من الـــوقت، غـــادرت المقهى وتـوجهت إلى البنـك. قمت بسـحب ألفي جنيـه كنت أدخرهم في حسابي الشخصـي، بالإضـافة إلى ألـف جنيـه وبضـع جنيهـات مـرتب آخـر شـهرين. حشـوت النقــود في كيس بلاســتيكي أســود أعطــاني إيــاه موظف البنك. وقال لي كن حذرا على نقودك.

عدت إلى القناة السوداء، مباشرة إلى المقهى حيث قـابلت المجرمـون إنهم مـا زالـوا موجـودون هنـاك بالفعل.

الرجـل الطويـل النحيـف ، والفـتى القصـير البـدين، واثنان من الحمقى الآخرين.

زجاجات العرقي موجـودة في جميـع أنحـاء مائـدتهم وعلى الأرض، ووجوههم حمراء مثل الـديك المحمـر بزجاجة زيت كامله.

نظروا لأعلى عندما رأوني أمشـي. جلسـت وأعطيت الرجـل النحيـف الطويـل الحقيبـة البلاسـتيكية. إنـه زعيمهم، الشابان الجديدان يبدوان مخيفين. كلاهمـا يرتديا قمصانًا سوداء ويكشفان الوشـوم اللـتي على أذرعهم العضلية.

أحدهم لديه ندبة على جبهتـه تمتـد إلى خـده الأيسـر العظمي. فتح الـرئيس الحقيبـة وفـرغ النقـود على الطاولة ، وبدأ في العد. جميـع الأوراق النقديـة فئـة 100 جنيه.

كيف لدي الكثير من المال لأنفق منه على سكني في الفندق وصرفي ببزخ؟ بالإضافة إلى مرتب الشهرين الأخيرين ومدخراتي طوال فترة عملي الطويلة هذه، علي دين كبير جدا كنت أخذته من خزينة المحاسب في العمل لإجراء فحوصات على كبدي، ولكن هذا أنا الآن اهمل كل هذا، وكل ذلك بسبب تلك الفتاة، الفتاة التي احبها جدا.

لا أستطيع أن أصدق ما سأفعله، لكني أشعر بقوة أنني يجب أن أفعل هذا، قد تكون هذه فرصتي الأخيرة للمخاطرة بكل شيء من أجل الحب، يمكنني حتى الموت من أجل الحب.

لم يتبقى لدي الكثير من الوقت. وأريد أن أفعل شيئًا غير عادي لآخر مرة في حياتي قبل أن أموت، أنا حامل لمرض السكري، وارتفاع الكوليسترول، وارتفاع ضغط الدم، ومرض الكبد، وهذا الجسم ينتظر الموت كالباب المتهالك الذي ينتظر من يقرعه كي يسقط.

إن من الرائع أن الشيء الذي أفعله هو بإسم الحب، لا أهتم إذا كان ما أفعله قانونيًا أو غير قانوني، أو إنسانيًا أو غير إنساني، أريد فقط أن أكون مع حبيبتي لبضعة أيام. أرمي كل أسبابي من النافذة، وأنا سعيد بذلك، سعيد جدا، قلقي الوحيد الآن هو نجاح عملية الاختطاف.

انتهى الرجل الطويل من عد النقود وسلم الرجل السمين رزمة سميكة، والرجلين الآخرين حشوة لكل

منهما. لا أعرف كم أعطى لرجاله، لكن يبدو أنه احتفظ بجزءًا أكبر لنفسه. جميعهم يضعون النقود في جيوب سراويلهم، وتوترت وجوههم فجأة، سكبت نصف زجاجة عرقي في حلقي، وقلت:

من سيفعل هذا؟

إن المكان مظلم بالفعل في هذه اللحظة، المرأة العجوز تجلس خلف المنضدة، وهذه المرة نشرب العرقي بمكعبات ثلج صغيرة.

لدي ثلاثة رجال يعملون معي في هذه العملية. وأنا أعلم أنه بعد هذه المغامرة سأكون تحت جبل من الديون. لكني لا أهتم.

الحب هو كل شيء بالنسبة لي الآن، وأنا على استعداد لتحمل كل المخاطر من أجل إرضاء هذا العطش، بما في ذلك خطر السجن.

قلبي مشتعل ولا شيء يستطيع إطفاء النار إلا "م". لذلك قلت للرجال:

استمعوا لي بوضوح . و كلهم آذان صاغية.

- أريدكم أن تقبضوا هذه الفتاة رغماً عنها وتحضروها إلى مكان ما سأخبركم عنوانه لاحقا، بأي وسيلة ضرورية ترونها مناسبة. أريدكم أن تفعلوا ذلك غدًا وأن تحضروها إلي.

هذا عنوانها. وهـذا مـا تبـدو عليـه - أريتهم صـورة م بالإضافة لعنوان الشارع الذي يقع فيه منزلهــا ورقم منزلها.

- في الصباح الباكر ، بعد أن تخرج من منزلهــا عليكم بتتبعها وهي تتوجه إلى المدرسة، ستختارون اللحظه المناسـبة وتنزلوهـا من دراجتهـا برفـق، وأنـا أؤكـد برفـق، ووضـعها في سـيارة، واقتيادهـا إلى المكـان حيث أنتظر.

ووجهت كلامي للزعيم النحيف، سأتصل بك غدًا قبل الظهر لإعلامك بالمكان والفندق الذي سأكون فيه.

سـوف تجـدون شخصـا في مكتب الاسـتقبال يـدلكم وتحضـــورها إلى غرفـــتي --- ويتم إنجـــاز اتفاقنـــا. بـالطبع، ألـف جنيـه أخـرى في انتظـارك في نهايـة المهمة. ولكن هي لن تتأذى، ولا حتى كدمة طفيفـة. أي أسئلة؟

- لا توجد أسئلة.

- حسنا ، لا تفشلوا. الآن اعطوني رقم هاتف؟

ذهب الرئيس إلى المنضدة وبعد دقيقة عاد وسـلمني قطعة من ورق التـواليت كتب عليهـا رقم هـاتف. ثم قال أحد الرجال الجديدان:

- عفواً ، لكن لماذا تريد أن تفعل هذا؟

- لأني أحبها وأريد أن أحصل عليها.

- هي لا تحبك؟

- لا. هي تقول إنني كبير في السن بالنسبة لها.

- يا لها من عاهرة. كيف تبدوا .. هل هي جميلة؟

- إنها أجمل امراة في العالم. من رآهـا ولم يقـع في حبها فهو بكل تأكيد متوحش لا قلب له، كمـا اتفقنـا لا تفكروا فيها سوى انها امانه وعليكم توصيلها لي.

- أوه - يقـول أحـد الرجـال - هـذا لن يحـدث. كلنـا سنلتزم بالمهمة فقط، سيدي.

وسيحرص زعيمنا هنا على ألا نقـع في حب امرأتـك. لأننا إذا فعلنـا ذلـك ، فسـوف يحرمنـا ذلـك من كـنزا كبيرا، وكذلك لن يكون لدينا مكان نذهب إليه ولا أحـد يحمينا.

سيدي، أنت لا تعرف زعيمنا. لديه كل رجال الشـرطة المحليين في جيوبه، إنـه السـلطة في هـذا المكـان، وفي العشوائيات الأخرى المحيطة أيضًا.

نحتـاج إلى تدخلـه وحمايتـه في حالـة عبث رجـال الشرطة معنا. أنت تعرف ما أعنيه.

ألقيت نظرة على الرئيس. إنه صامت وليس لديـه أي رد على ما يقوله رجله. ثم قلت لهم:

- احرصوا على عدم إيذائها.

- سوف نتعامل معها مثل إناء حليب دافئ، سيدي.

لأنهـــا حبيبتـــك نحـــترم ذلـــك كثـــيرًا. نحن معجبـــون بإخلاصك ونقدره، وسنسلمها لك سالمة.

- تأكدوا من أن لا تقعوا في حبها، وتؤخروا التوصيل، ولا تفعلوا بها أشياء قد تغضبني.

- ســـيدي، هـــذا لن يحـــدث. نحن نعـــدك. نحن أبنـــاء عاهرات قساة، و ليس لدينا مشاعر تجاه أي شيء أو أي شخص، نحن نحب المال فقط.

في هذا قال الزعيم:

إذا فعـل أي منكم أي شـيء ضـد رغبـة هـذا الرجـل، فسوف أقطع قضبانكم جميعا وأخـرجكم من المدينـة عرايا.

ثم قلت لهم:

-أمســية ســعيدة وحــظ طيب. أتوقــع أن يتم تســليم حبيبتي لي الساعة 3 مساء غدا.

ثم غادرنا المحل وافترقنا. في تلك الليلة نمت جيدا.

(٧)

حين أطلق عليك إسم مشتق من اسمك، أعلم تماما أنني وضعتك في مكانٍ قل ما يصل إليه غيرك.

فندق ادروب

في الصباح حوالي الساعة التاسعة عدت إلى الغرفة، سألني الموظف إذا كانت إقـامتي جيـدة في الفنـدق فقلت إنـــني حظيت بإقامـــة رائعـــة وقـــد أعـــود في غضون أسبوع تقريبًا.

توجهت مباشرة إلى مرسى القارب السريع على نهر النيــل، يســتغرق القــارب 15 دقيقــة للوصــول إلى منتجع أماسينا، وهو منتجع مفتوح في جزيرة حنتوب على بعد يكفى لإبتلاع صوت محرك عربة نقل كبـــيرة قبل أن يصل إلى ضفه النيل.

لم أذهب إلى تلـــك المنطقـــة من قبـــل، بمجـــرد أن نزلت من القارب إلتقت أسراب من سائقي سـيارات الأجرة معي ومع الركاب الآخرين. أومأت برأسي إلى أحد السائقين وسرت معه إلى سيارة الأجرة.

سألني إلى أين؟

أنا لا أعرف إلى أين حقا.

لكني أريد مكانًا لطيفًا وهادئًا، بعيدًا عن النـاس قـدر الإمكان. لـذلك أخـبرت الرجـل، اصـطحبني إلى أكـثر الفنادق هدوءًا التي تعرفها ، وهو مكان يكون العمـل فيه بطيئًا للغاية لدرجة أنهم يريدون إغلاقه، مكان لا يعرف الناس حتى بوجوده.

نظـر السـائق إلي بفضـول، أسـتطيع أن أرى وجهـه في مـرآة الرؤيـة الخلفيـة. لا يهمـني مـا يعتقـده، بالطبع أنا غريب.

ربما يعتقد أنني هارب من الشرطة أو أحاول الاختباء من شيء ما، اللعنة على ما يعتقده.

لم أعرف أبدًا خلال 47 عـام أنـني سأسـتمتع بالجنـة على الأرض. نعم، سـتكون حنتـوب خلال الأيـام القادمة الجنـة، حـتى لـو لم تكن هنـاك غيـوم بيضـاء وسماء زرقاء ، ولا عذارى يرتدين الثياب المتدفقة أو الملائكة المجنحة والعراة.

بعد رحلة مدتها عشرين دقيقة، أوصـلني الرجـل إلى مكان يبدو أنه مهجور من الخارج، كأنه خراب.

لافتة صدئة فوق المدخل تقول "فندق ادروب". يقـع على طريـق تـرابي خـارج الطريـق الرئيسـي، ولكن ليس بعيدًا عن ضفة النيل الرملية، وهو مجمع محـاط بسور، وذوجدران خضراء استعمرتها الطحالب.

دفعت للسـائق أجرتـه، ومشـيت عـبر المـدخل إلى منطقة الاستقبال. لا يوجد أحـد في الجـوار، رغم أن الباب وجميع النوافذ مفتوحة على مصراعيها.

إنهـا تقـترب من السـاعة 11. أنـادي لمن يسـمعني. مـرة، مـرتين، ثم من الخلـف ومن خلال بـاب ضـيق خرج رجل طويل القامة ونحيف مثل عصا الخيزران.

وقف خلـف المنضـدة وسـألني بابتسـامة عريضـة إذا كنت أريد غرفة. قلت له:

- نعم اريد غرفة لشخصين.

- أين هو الآخر؟

- سوف يأتي قريبا. هل لديك غرفة لي؟

- نعم، لشخصين ها؟ أنت وصديقتك؟

- أنا ومن ليس من شأنك معرفته. كم سـعر الغرفـة؟ خمسة وعشرون جنيها في اليوم. وهناك مكيف.

- جيد. كم سرير؟

- سريران.

- الآن سأدفع ثلاثة أضعاف للغرفة كل يوم وسـأبقى حوالي 7 أيام. وسأدفع لـك 500 جنيـه إضـافية حـتى تتمكن من الصمت بشأن إقامتي هنا. موافق؟

- سـيدي المحـترم؟ الرجـل يقـول ذلـك وعينـاه مفتوحتـان كمصـباح سـيارة تعطلت ليلا في طريـق مظلم. يبدو كما لو أنني ضربته بحجر على رأسه.

- أعني لا أريد التسجيل كضيف هنا. لست بحاجة لرؤية جواز سفري أو بطاقتي. ولا يوجد أمن محلي عليه ان يعلم بوجودي هنا.

- هممم .... لكن لماذا .. قال وهو يبتلع ريقه.

- لا لماذا، لا إذ، أو لكن . موافق أم لا؟

- أوافق حسنا ، والآن ظهرت ابتسامة كبيرة على وجهه العظمي.

وضعت 500 جنيه على المنضدة. عد المال ووضعه في جيبه.

- الآن هذا طوال الأيام السبعة التي سأبقى هنا، اتكلم معه وأعد المزيد من المال وأعطيه له. يعده مرة أخرى ويضعه في جيبه.

- أي طابق تريد يا سيدي؟

- الطابق العلوي، أفضل غرفة، غرفة بإطلالة رائعة على النيل والمراعي الخضراء. غرفة مرتفعة فوق الأرض بدرجة كافية حيث إذا قفزت سأكسر رقبتي وأموت. غرفة حيث حتى لو صرخت بأعلى رئتي لن يسمعني أحد.

فهمت، قال ذلك وصعد أمامي الدرج إلى الطابق الخامس.

في الطريق، سألته، كم عدد الأشخاص الذين يقيمون هنا الآن؟ فأجاب، هناك ضيف آخر.

واين هو؟ إنه في الطابق الثاني يا سيدي.

هذا كل شئ؟ هذا كل شئ.

سرنا إلى غرفة في نهاية القاعة و دخلنا غرفة كبيرة.

فتح النوافذ واندفعت نسمات النيل العليلة. ومن خلال النوافذ، أرى مياه النيل المائلة الى اللون الأزرق والمراعي الخضراء. ثم غادر الرجل.

أستحممت وهبطت إلى الطابق السفلي. موظف الإستقبال ليس في مكتبه. لذلك صرخت. مرة، ومرتين. فخرج.

- نعم؟ قال ذلك بصوت متردد.

- أريد أن أعطيك المزيد من التعليمات.

- أنا أستمع.

- في غضون ساعة تقريبًا، سيكون فريق من ثلاثة أو أربعة رجال هنا مع فتاة وسيطلبونني وستأخذهم إلى غرفتي.

- حسنا.

- بغض النظر عما سيحدث، فلن تسمع شيئًا ولن ترى شيئًا.

- أفهم ذلك. لكن انت لن تفعل شيئا غير قانوني قد يعرضني للخطر؟

- ل تقلق إن حدث شيء سأقول إنني أجبرتك.الآن هل يمكنني استخدام هاتفك من فضلك؟

إصطاد هاتفه من إحدى جيوب بنطاله وأعطاه لي. أخرجت قطعة من ورق التوليت وقرأت الرقم واتصلت.

- أهلا؟ صوت رخيم يجيب علي.

- أنا في الفندق. اين انتم وكيف تسير الامور؟

- حسنا يا زعيم، نحن في طريقنا إلى مكانك، سائق التاكسي الذي جائنا يقول أنت أرسلته وكلمة السر هي (فاروق رسام الخرائط)، نحن الآن في منتصف الطريق تقريبًا.

- نعم هذا من أرسلته لكم، كيف حال امرأتي؟

- إنها نائمة في جمال كالأطفال، في انتظارك كي تقبلها لتستيقظ.

وأردف، لكن يجب أن أقول، إنها جميلة للغاية. كدت أقع في حبها.

- اين زعيمكم ماذا قلت لكم الليلة الماضية، ها؟

- امزح معك فقط. انا اسف. قلت إنني على وشك الوقوع في حبها، لكن ليس تمامًا، لذلك ليس لديك ما يدعو للقلق.

- حسنا نحن على ما يرام. اخبر السائق أن يصطحبكم إلى هذا العنوان.

أعطيت الهاتف للموظف وطلبت منه أن يخبرهم أين نحن بالتحديد.

بعد إعطاء التوجيهات لرئيس العصابة ،أخذت منه الهاتف.

- أين الآخرون؟ سألته.

- هم معي الأن.

- إذن لا يوجد مكان في السيارة.

و أكملت، أين تحشوها؟ في الصندوق الخلفي؟

لا يا سيدي، هناك اثنان من الرجال معي في مقدمة السيارة، والثالث، في الخلف.

امرأتك مستلقية على المقعد الخلفي. الرجل يضغط على نفسه ويجلس في الاسفل. امرأتك في أمان ، أنا أضمن لك. سنكون هناك خلال ساعة، سيدي.

حسنا.

فسألني والمال يا سيدي؟

- لدي هنا ما تبقى لكم ألف جنيه. الا تثق بي

- نحن نثق بك. أنت واحد من الأشخاص النادرين الذين يمكننا التعامل معهم بثقة.

سيدي، هل يمكن أن تتخيل؟ هذه أول عملية اختطاف لنا وقد مرت دون أي خلل. كان أداء قواتي جيدًا بشكل استثنائي. أنا فخور بهم.

في الخلفية يمكنني هنا سماع ضوضاء حركة المرور.

انهيت المكالمة وعدت إلى الغرفة بعد إخبار الموظف بالبقاء في المنضدة الأمامية لإنتظار وصول الرجال و ملكتي الغامضة.

ابتسم كما لو كان مشاركا معهم أيضًا. وفي الحقيقة إذا لم يكن مشارك فأين هو؟ هل لم أعطه أموالًا للمشاركة في البرنامج، وهو نوع من المال الذي يمكنه الحصول عليه فقط إذا كان فندقه مليئًا بالضيوف على مدار الساعة طوال أيام الأسبوع؟

قلت له ايضا

- واجلس بجانب الهاتف في المكتب في جميع الأوقات في حال احتجت إلى الاتصال بك من غرفتي لشيء ما.

في الغرفة، أنظر من النوافذ إلى مسافة بعيدة وأفكر فيما أفعله. أنا أخالف القانون.

أنا أرتكب جريمة الاختطاف التي سأعترف بارتكابها بكل سرور. أميل من النافذة وأنظر إلى أسفل. نعم، إن المكان مرتفع للغاية من هنا. إذا قفزت، فمن المؤكد أنها ستكسر رقبتها وتموت كل شيء مرتب بعناية هنا. وآمل أن تكون عاقلة ولا تقفز.

أسمع صرخات طيور النورس أرى السماء الزرقاء وأشعر بالنسيم على وجهي.

قلبي يزيد دقاته ببطء. استلقيت على السرير. سيكون هذا سريري وهذا سيكون سريرها. ألتقطت الهاتف وأخبرت الموظف أنني أريد بعض البيرة الاجنبية.

بعد عشر دقائق دخل الغرفة ومعه دلو من الثلج والبيرة ثم قال،

أخبرني حكايتك، تبدوا شخصا محترم جدا، شخص ما سيكون هنا معك؟

فقلت، نعم ليس فقط شخصًا ما، ولكن امرأة أحبها، أحبها كثيرًا في هذه اللحظة أشعر أنني لا أستطيع العيش بدونها.

هل شعرت يومًا بهذه الطريقة؟

تردد الرجل، ثم قال نعم، مرة واحدة منذ عدة سنوات عندما كنت أصغر سناً. لقد وقعت في حب فتاة.

كانت المرة الأولى التي أحب فيها. لقد كان حبًا مجنونًا.

هل احبتك بالمقابل ؟

نعم لقد أحبتني بقدر ما أحببتها. كان الحب الأول لكلينا.

ثم ماذا حدث؟

إنها الآن زوجتي، ولدينا ثلاثة أطفال، وما زلت أحبها بجنون.

و هل مازالت تحبك بنفس الطريقة؟ نعم هكـذا تأكـد لي، لكني وللحقيقة لست متأكدًا بعد الآن.

لماذا؟

لقد أصبحت باردة بالنسـبة لي في السـنوات القليلـة الماضية، وهذا يؤلمني كثيرًا.

بالتأكيـد، أكـثر شـعور مؤلمـا بعـد الـزواج هـو غيـاب الشغف، حينما يصـبح من كنت تـراه الـدنيا بأكملهـا، شخص عادي، أما انا لم يسبق لي الشعور بهكذا أمـر ابدا.

كيف ذلك سيدي ألم تتزوج؟

تزوجت وهجرتـني قبـل عشـرة أعـوام لكنهـا لم تكن الحب الأول.

ومن كانت حبك الأول وأين هي الآن؟

كانت زميلـتي في الجامعـة، جامعـة القـرآن الكـريم وتاصيل العلوم.

هذه التي في ودمدني؟

اجـل، كـانت صـديقتي في الأول، حينمـا صـارحتها، قالت انها لا تفكر في علاقة عاطفية لكن اتفقنا بأن أكون اول حبيب لها، لم يهمني الأمر كثيرا ففي كل الأحوال نحن معا، كـانت تلقبـني ب(ود الدفعـة) لأن ابي اسمه دفع الله.

حسنا ماذا حدث؟

الشخص الذي سرقها مني، تعرفت عليه في سكن الطلاب، هادئا ويبدوا طيبا، كان ايضا من المدينة التي جئت منها، ما زلت أذكر اسمه، عبدالحليم، نعم عبدالحليم، في جلسة جمعتنا الثلاثة معا وبعض الرفاق، قدمته اليها، على أنه صديقي، تخيل ذلك؟ أنا من قدمت اليه حبيبتي، وصرت أمدحه أمامها كثيرا، يا لغبائي، لا اعرف كيف فعلت ذلك، وذات يوم اكتشفت أنها وقعت في حبه، تركتني، ولم نعد اصدقاء حتى، لكن لا يهم الآن مضى وقت كبير جدا، وهذه أول خيبة لي في قصص الحب، حتى جاءت ملكتي الغامضة هذه وغيرت كل شيء.

ثم سألني بدوره ، هل تريد أي شيء آخر يا سيدي؟

لا شكرا لك. وغادر.

انتهيت من احتساء البيرة ورن الهاتف، على الطرف الآخر، موظف الاستقبال :

سيدي ، هنالك رجال ومعهم امرأة هنا.

أرسلهم، قلت ذلك مسرعا واغلقت الخط.

وبعد لحظات دخل الرجال غرفتي مع الفتاة. يحملها اثنان منهم. أحدهما يحمل الجزء العلوي منها والآخر يرفع الجزء السفلي. يتبعهم زعيمهم الى داخل الغرفة.

- ضعاها على هذا السرير.

فقاموا بتمديدها برفق على السرير.

إنهـا ترتـدي قميص اسـمر قـاتم السـمرة و الـذي يحتضن بإحكام الجزء العلوي من جسدها.

لا تزال فاقدة للوعي وصـدرها يرتفـع ويهبـط برفـق مع كل نفس. هذه هي ملكتي الغامضـة. في حـوزتي الان. كم تبدو جميلة في نومها. جمـال أطفـال، كمـا يقول اولئك الحمقى، هنالك سـعادة هائلـة تملأ كـل كوني.

جلس اثنان منهم على الأريكة واثنان يقفـان بجـانب النافذة.

سألتهم:

- متى سوف تفيق ويعود لها وعيها؟

- في غضـون سـاعتين تقريبًـا – أجـابني زعيمهم - وأكمـل، طبقنـا المحلـول على أنفهـا وهي تتنفس بعمق.

قم بفحصها لمعرفة مـا إذا كـانت مصـابة بـأي شـكل من الأشكال.

أرى أنها لم تتأذى. ليست هنالك كدمة في أي مكـان، أحسنتم. وشكرا جزيلا.

هنا باقي المال، كما اتفقنا.

أعطيته مظروفًا محشوًا. أخذ المال وبدء في عده.

ثم قال، أنت رجل نبيل يا سيدي.

كان من دواعي سروري التعامل معك. يرجى الاتصال بنا مرة أخرى إذا كان لديك أي اعمال أخرى لنا.

فقلت له، أنا لست رجل نبيل، يا رجل ليس هنالك نبل في أذية الناس حتى لو كان الامر متعلق بالحب.

فيقاطع حديثي، ولكن هذا استثناء يا سيدي، لأنك رجل واقع في الحب، وأنت ذاهب في هذه الطرق العرجاء من أجل هذا الحب ومن اجل قلبك ولم تفعل هذا من اجل هدف مادي، نحن معجبون بك ونحترمك. لهذا السبب بذلنا قصارى جهدنا من أجلك.

ألقيت نظرة على م مرة أخرى. وقلبي ينبض أسرع. قريبا سوف تستيقظ وماذا سأفعل؟

- يمكننا الذهاب الآن يا سيدي؟ سألني الزعيم.

- نعم وشكرا مرة أخرى.

ثم خرجوا من الغرفة.

(٨)

هل عندك شك، أنك أحلى وأغلى امرأة في الدنيا؟

يجب ان ينام ملاكك الان

اقتربت منها ونظـرت اليهـا، يـا لهـذا الوجـه ملائكي، وجههـا يشـع نـورا وتفيض بحيويـة الصـبا، وبشـرتها حريرية جدا. شفتيها مطلية باللون الأحمـر. باسـتثناء الشفاه الحمراء، ليس لديها أي مكياج آخر.

تغطي خيوط الشعر الأسود جـزءًا من وجههـا. أشـعر برغبة في دفع تلك الشعيرات جانبًـا حـتى أتمكن من رؤية وجهها بالكامل، لكني لا أجرؤ.

لقد أخبرت نفسي أنني لن أتطرق إليها، ولـو بشـكل طفيف دون إذن منها أو دون رضاها، أنــني سـأحترم سلامة جسدها.

أريد فقط أن أكـون بـالقرب منهـا - هـذا كـل شـيء. أحمل أذنيّ إلى أسفل لأخذ أنفاسها. أنفاسـها ثابتـة ولطيفة وهادئه.

ثم أنــزل عيــني على صــدرها يسـيطر علي انــدفاع عميق من الرغبة الحيوانية عندما أرى هذين الثـديين، كتلتان صغيرتان من اللحم محجبتان بدقة تحت طبقة رقيقة من القماش.

لكنــني أدركت نفسـي في الـوقت المناسـب: لا، لن أستغل هذا الملاك، نعم ملاك.

في إحــدى مــرات مراســلاتنا على موقــع التواصــل هنالك رسالة أرسلتها إلي، قالت إنهـا ملاكي، ومنــذ تلك اللحظة دعيتها ملاكي، ملاكي الحارس.

كتبت ذات مرة: "يجب أن ينام ملاكك الآن".

شعرت بالسعادة عندما قرأت ذلك، الآن ملاكي هنـا، عاجز تمامًا تحت سيطرتي.

لكن بعد ذلك فكرت: ماذا سأقول أو أفعل عندما تستيقظ؟ أنا في حيرة من أمري، بل وخائف بعض الشيء. أعتقد اني خائف قليلاً، ثم قررت ترك الوضع يتطور من تلقاء نفسه.

اخذت زجاجة مريسة وبيرة ثم جلست بجانب النافذة أنظر إلى المراعي البعيدة التي تنام في وداعة أمام ضفة النيل، حنتوب، لم أتوقع أبدا أنها ستكون جنتي، وتجمعني بملاكي، على الرغم من أن ودمدني تحمل لي بين طياتها كثير من الزكريات المريرة، إلا انها ما تزال مفضلة عندي، منتزه الجزيرة وشارع النيل، سكن الطلاب الجامعي في حي الدرجة، مشاكسات الرفاق وسهرات كرة القدم، وقت طويل قد مر على هذه الزكريات الجميلة لكنها لا تزال تعود مرارا في خاطري، لذا ستظل المدينة مفضلة عندي مهما طال الترحال، ومهما تبدل الزمان، طبعا بإستثناء هذه اللحظة فإن جزيرة حنتوب هي ملاذي الآمن، ريثما اقول وداعا لملاكي النائم بجواري الآن.

عدت من شرودي، ثم اتصلت بالطابق السفلي، أجابني موظف الاستقبال، قلت له بأن يحضر لي ثلاثة جالونات من الماء وعلبة شوكولاتة ورقائق بطاطس وآيس كريم وبعض الحبال، سمعت سابقا في طريق عودتي من العمل ذات مساء، إن الفتيات يحببن الشوكولاتة، لذا لا ضير في أن أكون كريما مع ملاكي.

بعد عشرين دقيقـة، أحضـرهم إلى غرفـتي. قلت لـه أن يضـع كـل شـيء في الثلاجـة مـا عـدا رقـائق البطاطس والحبال. فعل ذلك، وأنا أراه يسرق نظـرة على جميلتي.

هل هذه هي المرأة التي تحدثت عنها؟ نعم.

إنها جميلة جدًا ومن العار أنها لا تحبك وتجـبرك على فعل هذا معها لكني لا ألومـك، كنت سـأفعل الشـيء نفسه إذا كنت مكانك.

حقا؟ سألته. نعم حقا سيدي.

فقلت، أنت لا تحـاول أن تنفخ الـدخان في مـؤخرة رأسي، أليس كذلك؟

لا، اتركني وحدي معها لمدة خمس دقائق، سأقع في حبها، مثلك تمامًا.

هل تمزح معي؟ خمس دقـائق؟ أنـا وهي نتحـدث مـع بعضنا البعض منذ خمسة أشهر ولم نر بعضنا إلا قبـل يومين، وقد رفضتني.

سألني لماذا؟ لأنني رجل عجوز ، لهذا السبب.

أنا كبير بما يكفي لأكون والدها.

هي لم تكن تعلم ذلك؟ لا، هـذا هـو السـبب في أنهـا صـدمت عنـدما علمت بعمـري الحقيقي ، وأصـيبت بخيبة أمل وهربت.

فسألني: كم عمرك؟ عمري 47 سنة.

نعم؟ اعتقدت أنك كنت في الثلاثين من عمرك . تبدو أصغر بكثير من عمرك.

فهتفت، بالضبط. لكنها مع ذلك تعتقد أنني كبير في السن بالنسبة لها، ولا يمكنـني الاعـتراض على ذلـك. هي تبلغ من العمرعشرين عامًا فقط.

ثم خـرج الموظـف من الغرفـة. تأكـدت من أن البـاب مغلـق، ثم عـدت إلى النافـذة واكملت شـرب البـيرة والمريسه اللذيذة.

قريبا سيحل الظلام. سـمعت حركـات على سـريرها، فإستدرت ونظـرت عليهـا، هي مستيقظة. جلسـت ببطء ثم نظــرت ببطء أكــثر وعنــدما هبطت عينيهــا علي، صرخت فجأة.

- أين أنا؟ ماذا حدث؟ ما هذا المكان؟

- أنت في فندق في حنتوب

- لا، كنت ذاهبه إلى الجامعة!

أنا سعيد لسماع صوتها مرة أخـرى. إنـه صـوت يشـبه الموسيقى، بل يشبه صوت العصافير .

- نعم ، كنت ذاهبة إلى الجامعة، لكني أقول إنك هنـا الآن.

- لكن لمــاذا انــا هنــا؟ اعتقــدت أنــني لن أراك مــرة أخرى.

- ولكني اريـد ان اراك مـرة اخـرى. هـل تتـذكرين مـا حدث؟

- أتذكر أنني كنت أركب دراجتي إلى الجامعة وأتــذكر أنني توقفت عند إشارة مرور ، و ...

- و ماذا؟

هذا كل ما أتذكره.

كيف انتهى بي المطاف هنا معك؟

مسـدت جسـدها طلوعـا ونـزولا، تاكـدت من هيئتهـا التي كانت عليها في الصباح.

انت خطفتـــني قـــالت ذلـــك بنـــبرة مليئـــة بالإثـــارة والمفاجأة، لكن بلا مرارة أو غضب.

أعتقد أن افراد عصابتك حقًا قاموا بعمل جيد.

- نعم، لقـــد اختطفتـــك يـــا ملاكي. لم أســـتطع ان اتخطى الامر. انا احبك.

- ما الذي سيحدث لي؟

أنا مندهش من أنهـا هادئـة. إنهـا لا تظهـر أي خـوف على الإطلاق. تــركت النافــذة وعــدت إلى ســريري جلست مواجها لها.

- أريد قضاء بضعة أيام معك. و أكملت، أريد أن أراك، أن أكون في جوارك.

- لقد أخبرتك أنه على الرغم من أنني معجبـة بــك، لا يمكننا أن نكون معًا.

- أفهم. لكني أريد فقط أن تكوني معي لبضعة أيام.

- ماذا ستفعل بي؟

- لا شئ. فقط نكون هنـا أنظـر اليـك وتنظـرين إلي. ويمكننا التحدث إذا كنت تريدين ذلك.

صمتت. حدقت في الحائط أمامها. أنا أيضا صـامت لا أقول أي شيء. ثم تنهدت وقالت:

- لم أكن أعرف أنك تحبني وتريدني كثيرًا، هكذا.

وقفت وتمشـــت إلى النافـــذة. مـــرة أخـــرى، ملأت صيحات طيور النورس الصمت الـذي يخيم. النسـمات تسـقط في شـعرها وهي تنظـر إلى النيـل خلـف الخضره اليانعة، لها انعكـاس قـوس قـزح على ريش طاؤوس.

في تلك اللحظة، فجأة توقفت عن أن تكـون إنسـانًا، لكنها أصبحت إلهـه. يمكنـني تقبيـل قـدميها الآن إذا سمحت لي بذلك. لكن بماذا تفكر هي الآن؟

قالت:

- أنظر أنا سـأغادر قريبـا، صـمتت لبرهـة ثم أكملت، أعـني انـا ليس لـدي مـانع في منحـك هـذه الأمنيـة الصغيرة، بما اننا لن نلتقي مـرة اخـرى، سـأعتبرها إكراما لقدومك من الخرطوم فقـط لمقـابلتي، لكن عدني ان تكون الامور بيننا كما اريد انا.

- أعدك بذلك، وحتى لن أنظر إليك دون موافقتك.

- حسنا، لكن لا بد لي من الاتصال بوالدتي وأخبرها ألا تقلق عليّ.

أنا غارق في بحر من السعادة. ماذا سأقول لها؟ إتصلي الان؟ بالكاد أستطيع التحكم في فرحتي.

سأقول إنني سأزور صديقة لي بعيدًا وسأعود. وفجأة إستدركت، متى ستدعني اذهب؟

- اليوم هو الاثنين. سنكون معا حتى يوم الجمعة. سوف تذهبين صباح الجمعة.

- حسنا.

-هل أنت غاضبة مني؟ سألتها.

- اه .... لا.

- ألا تكرهيني لأني فعلت هذا بك؟

- لا.

- بماذا يا ترى تفكر؟ لماذا تستسلم بهذه السهولة؟

التقطت الهاتف واتصلت بأمها انها هادئه جدا، سمعتها تقول، سأكون بعيدة لبضعة أيام، وسأعود إلى المنزل بحلول يوم الجمعة.

طلبت منها الاتصال بالموظف ثم اخبرته انها يجب عليها تغيير ملابسها. هي بحاجة لذلك. وفعلت ذلك.

- لدي هنا علبة شكولاتة و آيس كريم. هل اجلب لك البعض منهم؟ سألتها.

- نعم.

أحضرت لها كامل علبة الشكولاتة والآيس كريم.

جلسنا ونواجه بعضنا البعض - هي على سريرها وأنا على فراشي.

أستمريت في شرب البيرة. نظرت إليها ونظرت إلي، لا أستطيع التفكير في أي شيء لأقوله لها، هي تنظر إلى الأرض، حافية القدمين، نظرت إلى قدميها، ذوي لون قمحي هادئ تلاحظ نعومتهن من بعيد كما تلاحظ نعومة اقدام طفل رضيع ما زال يحبو.

-لا أعرف ما أفعله ، قلت لها ذلك.

- أنت تعرف ما تفعله - نظرت إلى الأعلى وقالت - لقد اختطفتني والآن أنا بين يديك.

- لا أستطيع مقاومة الرغبة في الحصول عليك. لكني أعلم أنني لا أستطيع الاحتفاظ بك إلى الأبد.

لذلك فكرت ، لما لا لبضعة أيام على الأقل؟ أنا آسف لأني فعلت هذا بك. أرجوك أن تغفري لي.

- أنا بالفعل أسامحك. أنا أفهم لماذا فعلت هذا. الشيء الوحيد الذي يزعجني هو أنني بعيدة عن المكان الذي أعرفه وأعيش فيه، وفي مكان غريب مع شخص غريب.

هل أنا غريب عليك؟

- نعم.

- لماذا؟ ألم نتحدث مع بعضنا منذ شهور؟

- الرجل الذي تحدثت إليه منذ وقت ليس الرجل الذي أنظر إليه الان.

كان لدي انطباع مختلف عنك. خيبت ظني، أنا أصغر منك 27 سنة، هل تعتقد أنني يمكن أن أكون صديقتك، زوجتك؟

- لاتوجد حواجز بيننا. ماعدا سخرية الآخرين.

- أنت محق. أخشى أن يتحدث الآخرون عني كوني سيدة رجل عجوز. أنا جميلة، وهناك الكثير من الشباب في عمري يريدونني.

إنها تؤلمني بصراحتها هذه.

- خلال مراسلتنا - تتابع حديثها - شعرت بشيء خاصا بك، هل كان الحب؟ لا أعتقد ذلك، لكنه كان شيئًا مميزًا، شعور لم يسبق لي ان اختبرته من قبل، إنه أنجذاب لشخص آخر، لك، أنت الذي صنعت لي هذا الشعور، كنت عمياء القلب وجعلتني ارى، لكني الآن أرى أنه لم تكون حقيقي، على الأقل ليس 100٪.

فقلت لها، أنا لا أعرف ماذا أقول. إنه المساء الآن.

- عندما علمت أنك قادم لرؤيتي – واصلت كلامها دون توقف - كنت متحمسه جدا. لقد تخيلت أشياء عنك. أشياء عنك مختلفة وفريدة بالنسبة لي. كنت آمل أنه بعد رؤيتك، تتأكد تخيلاتي عنك ويمكننا المضي قدمًا في علاقة ما وسأعمل على تعميق مشاعري تجاهك. لكن لا ، لقد خيبت ظني.

- كيف خيبت ظنك؟

- عمرك.

- كيف تشعرين الان؟

- خائفة قليلا.

-لا تخافي، لكن رغم عمري، هل أبدو متقدمًا في السن؟

- في الحقيقة، ليس كبيرا جدًا على الإطلاق. أعني أن وجهك أملس، وليس لديك أي تجاعيد، على الرغم من أنك عندما تبتسم، فإن نهايات عينيك تبدو ملتوية قليلاً.

- إذن ما الأمر؟

- المسألة هي أنك كبير في السن وفي سن والدي وأنا خائفة من ذلك.

- ماذا لو كنت مليونيرا؟

- لم أفكر في ذلك من قبل.

- فكري في الأمر.

- لا ، لا أريد أن أفكر في الأمر.

- إذن ليس هنالك أمل في الزواج؟

- حتى لو غيرت رأي وتقبلت الفكرة، وكان هنالك أمل حقا بتطور علاقتنا، فأنا بعد بضع شهور أو ايام، سوف اسافر، ربما بعض عام على الأكثر لا أدري، لكني سوف اسافر لمكان بعيد، لن تجدني فيه، على الرغم أنني متأكدة انك سوف تلحق بي هناك، لكن لن نلتقي ابدا.

هناك طرق على الباب، أتي الموظف بحقيبة من الملابس وسلمها لها، نهضت ثم ذهبت إلى الحمام.

بعد عشر دقائق، خرجت مرتدية ثوب نوم أحمر جديد تمامًا، وجلست مرة أخرى على سريرها. إنها تأكل الآيس كريم وتتناول الشوكولاتة في رضا تام. تبدو مختلفة في الفستان. وتبدو سهلة الانقياد، بل وحتى مستأنسة. ويشع جمالها.

- يبدو كما لو أنك توافقين على أن تكوني مخطوفه، قلت ذلك وكنت مندهشا لأنها لم تقاوم. وعت الآيسكريم جانبا واستطردت:

- شعرت بالذنب بعد أن تركتك في المقهى ذلك اليوم. كنت قاسية عليك.

أنت قطعت مسافة كبيرة جدا تاركا عملك وحياتك اي كانت خلفك، فقط لرؤيتي ولم أمنحك حتى ثلاثين دقيقة في مقابل ذلك، وما زلت تحبني بهذ القدر الكبير لقد كنت غاضبة جدا ومصدومة، لذا ركضت من المقهى بسرعة كبيرة دون مراعاة لمشاعرك. انا اسفه.

أشعر بأني أفضل بكثيرالأن. لكن ما تقوله هي لا يمنحني الأمل في أنها ستوافق على أن تكون حبيبتي.

هي شـابة وعليهـا أن تعيش مـا يقولـه لهـا قلبهـا، ويخبرها قلبها أن هذا الرجـل ليس لـك، لـذلك أنـا لا أفكر في أي أمل قـد يـأتيني بـه مصباح سحري. مـا أتمنـاه هـو بضـع لحظـات رقيقـة معهـا لبضـعة أيـام، بدون حوادث قد تغير من مخططات ذلك.

ويبدو أننا سنحصل على تلك اللحظـات. مـا لم تنهـار السماء طبعا، وأنا أشك في حـدوث ذلـك. ومـع ذلـك، إذا أرادت السماء أن تنهار، أدعو الله أن تنتظـر حـتى تنتهي هذه الأيام القليلـة مـع ملاكي، ثم يمكنهـا أن تفعل ما تشاء.

لربمـا أيضًـا قـد ان تصـاب الأرض بكـويكب وتتـدمر وتختفي كل أشكال الحياة، كل هذا وإن أوشـك على الحـدوث لا يهمـني سـوى أمـر واحـد فقـط، هـو أن تنتظري حتى تنتهي هذه الايام معها.

هواء المساء دافئ على غـير عادتـه في هـذا الـوقت من العـام، لكنـه تغـير كمـا تغـير حظي، إن النسـيم المتقطع يجلب الراحة بين الحين والآخر.

- هل انت جائعة؟ سألتها.

- نعم.

اتصـلت بموظـف الاسـتقبال وطلبت منـه تحضـير العشاء لشخصين.

- ماذا تريدين أن تأكلي؟

- الأسماك والخضروات.

أتريدين أن نجلس في مطعم الفندق أم في الغرفة؟

- أنا لا أهتم أين، يكفي أن نحصل على وجبة جميلة. قالتها بنبرة راضية.

حسنا سوف نأكل في الطابق السفلي، قلت ذلك للموظف واغلقت الخط.

- أيمكنني مشاهدة التلفزيون؟ سألتني.

- نعم يمكنك ذلك، لم تعودي ضيفة أنت الآن صاحبة المكان.

نقرت زر التشغيل وجلست على الأريكة. أستلقيت على سريري وألقيت نظرة على السقف. المروحة تدور ببطء، سمعت ضوضاء من التلفزيون. أصوات وموسيقى، ألقيت نظرة مسترقة عليها.

إنها جالسة تحت الضوء الأصفر للمصباح. أعتقد أنها الآن راضية تمامًا عن مصيرها الشعور بالذنب يجعلها على هذا النحو؟ أنا أعتقد هذا.

أنا الآن أشعر بالسلام والشعور الدافئ بالأمان والسعادة الهادئة.

رن الهاتف، قال الموظف إن العشاء جاهز. سرنا على الدرج بروية وتمهل إلى المطعم، هي لا تزال ترتدي ثوب النوم الأحمر.

قرب منتصف الليل، عندما استعدينا للنوم، قلت لنفسي علي ان اقوم بربطها لأنني أخشى أن تتسلل وتختفي، لربما كانت تخدعني وتمثل علي طيلة النهار، لهذا طلبت سابقا من موظف الاستقبال أن يشتري لي الحبال.

- لا، لا تقيدني – قالت ذلك - لن أهرب. أعدك بأنني سأبقى معك حتى يوم الجمعة.

ترددت للحظة ، ثم أبعدت الحبل عنها.

- ليلة سعيدة ، قلت لها.

- نوما هنيئا.

ثم اغمي علي في رحلة نوم هنيئة، لم أحصل على مثلها منذ سنوات مرت، رحلة هنيئة كم تمنت ملاكي لي.

ضربتني الشمس على وجهي فإستيقظت على سماع صرخات طيور النورس، كانت م نائمة، مستلقية على جنبها، وظهرها نحوي وثوبها مطوي تحت ساقيها فوق الركبتين.

ألقيت نظرة على الجزء المكشوف من ساقيها، على الجلد، الجلد الأبيض، الناعم.

اقتربت منها، ربت على الشعر. ثم مشيت ببطء وبهدوء حول سريرها وأضع الصورة الكاملة لجسدها تحت بصري. وجهها مغطى جزئيًا بشعرها، لكن يمكنني رؤية ابتسامة باهتة على وجهها. ماذا ترى في أحلامها يا ترى؟

صدرها شبه مكشوف بسبب القص العريض للثوب حول العنق، ويمكنني أن أرى ثدييها وحلماتها الورديتين. اندفاع الرغبة يسيطر علي الآن، أريد أن أوقظها بلطف وأمارس الحب معها.

لكن لا، أنا لن أفعل ذلك. لن أفعل ذلك معها، مع تلك التي وثقت بك بما يكفي لتضع مصيرها بين يديك.

مشيت إلى النافذة وألقيت نظرة على النيل المتلألئ، أشعة الشمس المنعكسة على سطحه هادئة جدا، ترسل للناظر إليها لمعان براق، مثل الحب تماما، حينما تختبره لأول مرة ستشعر وكأنك حزت الدنيا وما فيها، ولكن ما أن تتلقى أول صدمة ستهوى كل ما إكتنزته في قلبك كما هوى مال قارون.

خمسة، ثم عشرة، مرت الدقائق ببطء بينما كنت أقف عند النافذة وأراقب رغبتي تتلاشى وأعلم أنني نجوت من الخطيئة.

أنتظرت حتى غستيقظت، ثم تناولنا الإفطار وبعد الإفطار سألتها إذا ما كانت تريد السباحة في النيل. فأجابتني، نعم.

تمشينا إلى الشاطئ. لا يوجد الكثير من الناس هناك، إرتدت البيكيني ودخلت الماء ببطء. جلست على كرسي خشبي مسطح وجدته قرب الضفة، تحت مظلة بلاستيكية زرقاء، ثم تمددت أراقبها وهي تسبح كعروس البحر.

الشمس شديدة الحرارة حتى في هذه الساعات المبكرة من الصباح السماء عبارة عن فراغ أزرق غامق، وليس هناك أي من الغيوم.

نظرت إلى السماء الصافية، وسرحت بعيدا أفكر في يوم الجمعة، اليوم الذي سأطلق سراحها فيه، لكني سرعان ما أطرد الفكرة من رأسي، لأنني الآن أسعد رجل على وجه الأرض، ولن أسمح لأي شيء بالتدخل في سعادتنا، لا، هذا ليس صحيحًا تمامًا، السعادة الآن هي لي أنا فقط، فربما ملاكي لا تشعر بما أشعر به الآن، لم تأت هنا طواعية، وكما قالت هي ظلت لقاء تكبدي عناء السفر هذه المسافة لمقابلتها، لكن لا يهم، يكفي انني سعيد جدا الآن.

هناك الكثير من الناس السعداء في الوقت الحالي، لكني أعتقد أنني الأسعد، وحقا أنا لا أصدق حظي، ماذا أطلب أكثر من ذلك؟ ملكتي برفقتي الآن، وليس لدي خوف من هروبها.

أنــا ممتن لأن ملكــتي لم تبــد أي مقاومــة، لكن إذا فعلت ذلك، كنت سأضطر إلى استخدام القوة ولكني لم أرغب في ذلك قط.

أرمي عينــاي نحــو النيــل، تغمس رأســها إلى الأعلى والأســـفل في المـــاء، وقفت ثم خلعت ملابســـي ومشـيت في المـاء، أسـبح تجاههـا. عنـدما اقـتربت، نظرت إلي وابتسـمت. ثم غصـت عميقـا، من تحتهـا وعدت إلى الظهور على الجانب الآخر.

فعلت ذلك مرارا وتكرارا. وعندما اصـطدمت بهــا عن طريق الخطأ، تضـحك كـالوردة الـتي أول من يقبلهـا الربيع قي عنقها.

ثم عدنا بعـدها إلى الضـفة واسـتلقينا بجـانب بعضـنا البعض على الرمــال البيضــاء الناعمــة، جســدينا على بعد قدم واحدة من بعضنا البعض.

عدنا إلى الفندق قرب الظهر، مر الصباح في صـمت وفي هناء وسرور، رغم اننا لم نقول الكثير.

بعــد العــودة إلى الغرفــة ، نأخــذ دورنــا للاســتحمام بالمياه العذبة في الحمام. وعادت في ثوبهــا الأحمــر متألقة، متأنقة كالفراشة.

- سأشـــتري لـــك بعض المســـتلزمات الفنيـــة حـــتى تتمكنين من الرسم وتمضية الوقت، قلت ذلك، بنبرة حانية.

- شكرا لك، قالت بابتسامة مرحه.

- اتصلت بالموظف وأخبرته بما تريد ملكتي.

وعندما وصلت الإمدادات في وقت مبكر بعـد الظهـر، بدأت الرسم.

ترسم مشهد النيل والمراعي الخضراء خارج النافذة، جلســت أشـاهدها ترسـم، في وقت متـأخر من بعـد الظهر، أستحمينا في البحر مرة أخرى وعنـد الغسـق عدنا إلى غرفتنا.

يبتسم لنا الموظف في كل مرة يرانا. ربما يفكر في أننـا أصـبحنا على وفـاق وسـنغدو زوجـان سـعيدان. وبطريقة ما، نحن كذلك.

في الليل عندما أصبحنا مستعدين للنـوم، سـألتها إذا كانت سعيدة.

قالت وهي ترسـم على شـفتيها الشـهيتين إبتسـامة مريحة - أشعر أنني بخير، كيف تشعر أنت؟

- أنا سعيد جدا.

ذهب الثلاثـاء. وقضـينا يـوم الأربعـاء بـذات الطريقـة والأسلوب.

(٩)

الطريقة المثالية لفهم مشاعر الرجل، هي ملاحظة ردة فعله حين تتحدثين بحضوره في مجتمع ما.

الليلة الاخيرة

ليلة الخميس هي ليلتنا الأخيرة معًا. في تلك الليلة بدأت أشعر بالألم في قلبي. أفكر في الغد، وصراخ قلبي الذي لا يفكر في تركها تذهب.

لكن يجب أن أتركها تذهب. لقد فعلت ما يكفي لي، أكثر مما كنت أحلم، بل فعلت ما هو كفاية، وكانت معي هذه الأيام، ليس علي معاقبتها لحسن تصرفها معي، لا يجازى الإحسان بالنكران، لا، فإنها وان ظلت اكثر من ذلك، ستبدء عائلتها في القلق عليها، كما أنها تفوت دروسًا ومحاضرات كثيرة بسببي.

ربما أبلغت عائلتها الشرطة عن فقدانها. وقد يكونون في الخارج للبحث عنها، في هذا الوقت الذي نجتمع فيه معًا الآن، يتعمق حبي لها فقط لأنني شعرت أنها أصبحت أكثر رقة لي وأكثر استجابة.

ولا أريدها أن تعتقد بأنني أستغل طيبتها، ففي إحدى المرات، سمحت لي أن أمسك بيدها أثناء عودتها إلى الفندق من الشاطئ. أنا لم افعل ذلك عمدا في البداية، هي لمست يدي عن طريق الخطأ وكرد فعل عكسي، أمسكت بها ولم تحاول سحب يدها من يدي، حينها نزلت قشعريرة في عمودي

الفقري عندما أمسكت بيدها في باطن يدي، لأن ذلك كان أول اتصال جسدي بيننا، ثم تركت يدها عندما دخلنا الردهة.

في تلك الليلة الأخيرة معًا، جلسنا لفترة أطول من المعتاد على طاولة الطعام بعد الوجبة. كما هو الحال دائمًا، لا يوجد أحد من حولنا. فقط الصمت النائم والطاولات والكراسي الفارغة.

نظرت في عينيها وأعتقد أنني رأيت حزنا مريرا، وعندما تلاقت نظراتنا، خفضت جفنيها وحدقت في سطح الطاولة.

الموظف يستمر في القدوم لإعادة ملء البيرة لي والعصير لها. كنت أفكر في صباح اليوم التالي.

- لن أنساك أبدًا، قلت ذلك وأكملت دون توقف، وأنا آسف على الألم والقلق الذي سببته لك ولعائلتك.

-لا بأس ، همست لي في شرود.

صمتنا مرة اخرى. وهي هادئة جدًا لدرجة أنني أستطيع سماع دقات الساعة التي في يدها.

- هل تستطيعي مسامحتي؟ سألتها مرة ثانية.

- أنا بالفعل أسامحك ..... و ....

أنا أنتظر الكلمات هيا أكملي ..

- .... أعتقد أنني سأفتقدك ....

هذه الكلمات تؤلمني أكثر من أي شـيء آخـر. أكملت حـــديثها وســـألتني، هـــل لي أن اعـــرف اســـمك الحقيقي؟ انـــا أذكـــر جيـــدا ان (حافـــظ) اســـمك الإفتراضي، وعطفا على كـل الأحـداث الماضـية أنـه ليس الحقيقي.

فعلا، إن، اسمي الحقيقي هو سلطان وأنت؟

أسمي هـو ذاتـه الإسـم الحقيقي، ملكـة إلا إذا كـان المعنى مختلف بزيادة حرفي "ال".

عــدنا بعــدها إلى الغرفــة، أطفئت الضــوء وأغلقت عيـني، الألم شـديد في صـدري، أثنـاء الليـل جـاءت واستلقت معي.

أنا لست متفاجئًا حتى أنني توقعت أنها ستفعل هــذا وأكــثر، ثم رويــدا رويــدا دفنت رأســها في صــدري وفجـأة بـدءت في نوبـة بكـاء كالطفـل، مثـل أكـثر الأشياء الطبيعية في العالم، عانقتهـا بقـوة وقبلتهـا على جبهتها، وأدرت أصابعي من خلال شعرها.

أخذت يدي ووضعتهما على ثدييها، إنهـا عاريـة الآن، لا أعـرف مـتى خلعت ملابسـها. أشـعر بإيقـاع دقـات قلبها، إنتصب الشيء وهذا يؤلم بشدة، إنها تتـألم، وتريد علاجا، ولكن ليس فقـط أي علاج، ترجــف بين يداي كمن ضاع في عاصفة شتائية في أرض جرداء.

إنها تتنفس بغزارة، أنزلت يدي إلى بطنهـا أداعبهـا، وببطء أذهب إلى أسفل ما بين ساقيها المرتعشتين، رطوبة المكـان حبسـت أنفاسـي وإستسـلامها التـام يدفعني للغرق فيها، جلست ومددت قدماي، رفعتها بلطف، جلست ببطء، ثم طلوعا ونـزولا، هـدء الألم في جسدها، إستكانت جميع حواسـي، لفت ذراعيهـا حــولي، وتغــرق أظافرهــا في ظهــري، ثم تصــبح أنفاسها أكثر إلحاحًا.

إنه النعيم.

(١٠)

ان أبلغ تعبير عن الحب، هو أن أعود لمراسلتك دون أن ألقي السلام، هذا لأن لا أحد يلقي السلام على نفسه.

موتا هنيئا

نهضت، ثم حملت جسدها المرتعش إلى سـريرها. ثم عـدت إلى سـريري، في الظلام وفي سـكون الليـل، أصبحت تنهداتها بعيدة بشكل متزايد، لا أعرف ما إذا كنت أحلم أم مستيقظًا. لا يمكنني التأكيد، ما أعرفه الآن هو أن جميع المرات التي فعلتها مـع العـاهرات، جميع المرات مجتمعة، لا تسوي ربـع مـا شـعرت بـه أثناء ممارستي الحب مع ملاكي.

ظللت يقظا حـتى طلـوع الفجـر، أفكـر في أي حـظ هذا الذي حصلت عليه، حتى انني في الايام القليلــة الماضـية تـوقفت عن تنـاول حبـوب تسـاعدني على النــوم، هــل ادركــني القــدر اخــيرا ومنحــني بعض التعويض؟ ولو أنه تعـويض مـؤقت أشـعر انـه كـافي، بدءت الديكة في الصياح واسراب العصافير تغـرد في سـعادة، كأنهـا تشـاركني الاحتفـال، رفعت زجاجـة البيرة وشاركتهم نخبا، ولسوء حظي كانت الاخــيرة، استيقظت ملكـتي وبعـد ان ألقت نظـرة على سـاعة يدها قالت بصوت متكسر.

الوقت لا زال مبكرا للذهاب.

ثم نهضــت وجــاءت لتســتلقي بجــانبي مــرة اخــرى، طبعت قبلة على خدي الايسر، شعرت بـألم حـاد في كبدي وبأطرافي تتصلب كالحديد واعجز عن تحريكها.

ادركت حينها السبب، هذا مـرض السـكري قـد تمكن مــني، تنهـدت بعمـق، اخــر مـا تنفسـته كـان عطــر شعرها، اغلقت عينـاي ببطء، ثم قلت لنفســي، إذا

مت الآن وهي بحضني، لا يهمني إن دخلت الجنة أو الجحيم.

حينما استيقظت، كنت ارتدي جلباب أبيض، كل الجدران حولي بيضاء، مرتبتي سميكة جدا، لست في الفندق. أين أنا؟

بجانب السرير جهاز يشبه شاشة الكمبيوتر، وطاولة مليئة بالعقاقير، إنها المستشفى، حاولت النهوض، لكن جسدي مرهق واشعر بقدماي، وكأنهن لا تقويان على حملي.

جاء الطبيب، لم ينبس ببنت شفة، تتبعه ممرضة حسناء تحمل في يدها حقيبة ظهري، سألت الطبيب.

-أين ملاكي؟ أقصد الفتاة التي جاءت بي إلى هنا ..

عفوا، هل قلت الفتاة التي جاءت بك الى هنا، متى حدث هذا، هل تتذكر متى جئت الى هنا؟

-كم من الوقت انا هنا؟

إلتفت إلى الممرضة ورمقها بنظرة إستغراب، ثم عاد نحوي وقال، سيد سلطان أنت هنا طيلة خمسة أشهر، كنت في غيبوبة فاقدا للوعي، كنت على وشك الموت، اما بخصوص من جاء بك الى هنا، فلا احد يتذكر أبدا. انا آسف.

بعدها خرج.

أستلقيت على السرير، ملايين من الأسئلة في رأسي بحاجة لإجابات، وقبل أن اطرح السؤال الأول. جاءت ملاكي الحارس.

كانت ترتدي جلباب أبيض تماما مثل الذي أرتديه، وباستثناء الملابس، لا شيء مختلف بها، جلست بجانبي وقالت.

ها قد استعدت وعيك أخيرا سيد سلطان، انا سعيدة لأجلك.

سألتها، متى دخلت انت المشفى؟ .. ثم هذا الطبيب ما الذي يقوله؟ قال انني هنا منذ خمسة اشهر.

ربتت على يدي برفق، ثم مررت يدها فوق الإبرة الضخمة المركبة على وريدي وقالت، تمهل، ما يقوله الطبيب صحيح، أنت هنا منذ خمسة أشهر، كنت في غيبوبة طويلة، يقولون أن الخمر كاد أن يتسبب في وفاتك، أنا في الغرفة المجاورة لك، وجئت المشفى قبلك.

ما الذي يحدث معي؟ هل ما تقوله ملاكي صحيح؟ كل الذي حدث لي، والذي حدث لنا كان مجرد تخيلات مريض غائب عن الوعي؟

-سألتها، ولا أرى في عينيها ذلك الشغف وتلك الحيوية، تبدو هزيلة جدا، ما أسمك؟ وليتني لم أسأل.

قــالت وهي تنهض ببطء. اســمي ســواكن. واردفت إلى اللقاء.

-تمهلي، لقد رأيتك من قبل، بل وتحدثت معك.

استدارت ببطء وقالت بعد ان رسمت ابتسامة متعبة، بالطبع، كنت أجلس معك كل يوم اثناء غيبوبتك.

اردفت، وهي تعــود لتضــع قصاصــة ورق صــغيرة مطوية بعنايـة على كفي، كنت تتحـدث أثنـاء نومـك، تقول ان زوجتك هجرتك، واحيانا تتحدث عن شــخص اسمه الملكة الغامضة.

مـا الـذي يحـدث لي؟ انـا لا أتـذكر شـيئا عن حيـاتي السـابقة، هـل أنـا مجـرد نكـرة الآن؟ حـتى ملكـتي الغامضــة اصــبحت مجــرد ســراب، مجــرد حلم في غيبوبة.

اكملت حديثها وهي تغادر، الى اللقاء سيد ســلطان، لا تنسى زيارتي لاحقا، فأنا وحيدة مثلك.

-تمهلي أرجـوك، صـحت لهـا بعـد ان اسـتجمعت مـا تبقى من قواي الخائرة ونهضت، وسـألتها مـا الـذي بك؟ ما مرضك؟

عادت مرى اخرى بعـد ان كـادت تغلـق البـاب خلفهـا. لدي سـرطان العظـام، المرحلـة الأخـيرة، لا تنسـى زيارتي منذ الغد. وغادرت.

يـا للتعاسـة، مـا الـذي يحـدث؟ انـا لا أفهم شـيئا؟ لسعني صداع نصفي لم استطع مقاومته والنهـوض، عدت مستلقيا على سريري، كل ما أذكره الآن أنـني مدمن خمر، وكدت ان اموت بسببه.

دخلت الممرضـة وفي يـدها بعض الاوراق وسـألتني. هل تشعر بحاجتك لتناول خمرا اليوم؟

لا، لكن هل لي بسؤالك عن شيئا ما؟ أكيد تفضل.

المريضة التي بجواري، من كانت تأتي لزيـارتي كـل يـوم، مـاذا بهـا، هـل هي فعلا مصـابة بسـرطان العظام؟

نعم، وللأسف، سيوقفون العلاج عنها اليـوم، ربمـا ستعيش ليوم او ليومين، كانت تنتظـرك حـتى تفيـق من غيبوبتك ثم توقف علاجها.

اكملت الممرضـة أسـألتها وأنـا أومي برأسـي بالموافقـة واحيانـا بـالرفض، دون أن أدرك ماهيـة الأسئلة التي تطرحهـا علي. بعـد أن غـادرت، عـدلت من رقـدتي على السـرير فسـقطت قصاصـة ورق صغيرة.

حينما فتحتها وجدت فيها:

توقـف عن إضـاعة حياتـك الثمينـة هـذه، فهنـاك من يصارع الموت مائة مرة كي يحصل على يوم آخر.

وفي الأسفل توقيع صغير (ملاكك الحارس).

موتاً هنيئا رواية

محمد محي الدين أبوزكو

صـحت للممرضـة وطلبت مقابلتهـا فـورا، قـامت بنقلي عبر كرسي متحرك الى غرفتها، حينما وصلت كانت مستلقية على فراشـها كالطفـل الصـغير على جانبهـا الأيسـر واضـعة يـدها اليسـرى تحت راسـها، كـانت توشـك على النـوم، و النعـاس يكابـد عيناهـا لتلتقي رموشها العليـا مـع السـفلى، إقـتربت منهـا حتى شعرت بدفء أنفاسـها المتقطعـة، قـالت قبـل ان انطق بأي شيء، يجب أن ينام ملاكك الآن.

فقلت لها، نوما هنيئا، و الأصح كانت، (موتا هنيئا).

تمت.

(١١)

ان أحب الأشياء إلي، هي أن انادي اصدقائي بألقاب أوجدتها بنفسي.